جامعة طيبة

مهارات اللغة العربية (١)

أ.د. مختار الغوث

د. سليمان السناني

١٤٣٩ – ١٤٤٠هـ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد، فهذا كتاب مهارات اللغة العربية، على وفْق المنهج المقرر على طلاب جامعة طيبة. وهو أربعة أقسام: أولها في أهم أبواب النحو، وثانيها دراسة لبعض الأدوات ومعانيها، وثالثها في أخطاء لغوية شائعة، ورابعها دراسة لأربعة نصوص مختارة، هي: سورة الحجرات، وحديث الإسراء، و"الشعرة البيضاء"، لمصطفى لطفي المنفلوطي، و"ذكرى المولد"، لأحمد شوقي.

وقد عرضنا القسم الأول بغاية من الإيجاز، وكان همنا فيه أن يعرف الطالب معاني النحو الكلية معرفة، تشبه المعرفة السليقية، كأنَّ الكلمة فاعل، أو مبتدأ، أو حال، إلخ؛ فأعرضنا -من أجل ذلك- عن التفاصيل التي نرى أنها لا تعين على ذلك، والطلاب -إلى ذلك- في غنى بما يعرفون منها بالسليقة عن تعليمهم إياها بالطريقة الصناعية. وتدريس التفاصيل قبل أن تُثقَفَ المعاني الكلية، وتستقرَّ في النفوس، مما يشق عليهم، ويحول بينهم وبين استيعاب ما هم إليه أحوج. وقد رتَّبْنا هذا القسم ترتيبا يخالف المعهود في كتب النحو العربي، من بعض الوجوه، فبدأنا بالإعراب، واقتصرنا منه على علاماته الأصلية الظاهرة، ثم أتبعنا ذلك أبواب النحو، ثم ثنينا بالعلامات المقدرة، فالعلامات الفرعية، وثلَّثنا بدراسة المبنيات. وإنما حَملنا على ذلك حرصُنا على أن تستقرَّ القواعد الأصلية في أذهان الطلاب أولُ، وألا تزاحَم بما يخالف الأصل، من العلامات المقدرة، والعلامات الفرعية والبناء، فإن البدء بهذه كالبدء

بالفرع قبل أن يُعرَف الأصل، والشاذِّ قبل أن يعرف القياسي والمطَّرِد، وما أجدر ذلك أن يحول دون إدراكها كلها. وزادنا اقتناعا بهذه الطريقة ما قد علمنا من اجتواء الطلاب النحوَ، وصدودهم عنه، وما في هذه الطريقة من تيسير، لا يخفى، وتجديد، يدفع الملل شيئا.

أما النصوص، فعرضناها عرضا يجمع بين الشرح والتحليل والتقويم، بما يعين على فهم معانيها من ألفاظها، وإدراك ما فيها من جمال، وعدم الاقتصار على تقديم مجمل المعنى بمعزل عن النص، لما نرى من أن ذلك يحول دون بلوغ المقرر غاياته، وهي فهم النصوص، فتحليلها وتقويمها، وتذوقها. ونحسب أن في الطريقة التي اتبعنا عونا على ما يقرِّب الطلاب من العربية، ويرفع ما وضع بعض طرائق التعليم بينهم وبينها من حجب. نسأل الله أن يبارك في عملنا، وينفع به، ويجعله خالصا لوجهه الكريم.

الكَلامُ

الكلام هو: اللفظ الذي يفيد معنى تامًّا، يحسن السكوت عليه. وأقله كلمتان؛ لأن الكلمة المفردة لا تفيد معنى تاما. مثل:

- (اللهُ ربُّنا).
- اليومُ جميلٌ.
- (وقعت الواقعة).
- (اقتربت الساعةُ).

فكل واحدة من هذه العبارات تؤدي معنى تاما يفيد السامع، ويبين عن مراد المتكلم، وليس فيها ما يحتاج إلى كلمة تُتِّم معناه، بخلاف هاتين العبارتين:

- إذا مررتَ بجالسٍ.
- جاء اليومَ.

فإنهما لا تُبينان عن معنى تامٍّ، وإذا سمعهما المرء، ظلَّ ينتظر محدِّثه أن يُتمَّهما، ويَصِل ما قَطَعَ منهما، وإذا طال سكوته، فربما ظن أنه نسي شيئا مما أراد قوله، فذكَّره، أو نبهه على أنه ما زال ينتظر أن يقول ما يُتمُّ ما بدأ، حتى يَفهم ما أراد، كأن يقول له: إذا مررتُ بجالس، فعلتُ ماذا؟ ومَن ذا الذي جاء اليوم؟ فإذا قال له:

- إذا مررتَ بجالس، فسلِّمْ عليه.
- جاء اليومَ صاحبك.

تَمَّ المعنى، وغدت كلتا العبارتين كلاما مفيدا؛ لأنها تبلغ السامع معنى

تاما، يبين مراد المتكلم.

أقسامُ الكلام

وينقسم الكلام ثلاثة أقسام:

١- اسم: وهو الكلمة التي تدل على ذات، أو معنىً غيرِ مُقترنٍ بزمنٍ، مثلُ: أحمد، وسعاد، وكتاب، وجبل، ومروءة، وحرية، وعقل، ودين. فأحمد، وسعاد، وكتاب، وجبل، تدل على ذوات، وهي أشياء محسوسة، أي تُدرَك بإحدى الحواس الخمس، أما المروءة، والحرية، والعقل، والدين، فمعانٍ، تُدرَك بالعقل، ولا تدرَك بالحس، وليس فيها ما يَقترِن بزمن، أي إنها تدل على معانٍ مجردة من الزمن.

٢- فعْل: وهو ما دلَّ على حدثٍ مقترنٍ بزمنٍ، مثلُ: قرأَ، سقطَ، استلقى، يكتبُ، يبني، يصلِّي، يكسِّر. فهذه الكلمات تدل على أحداث، ونعني بالأحداث الأشياءَ التي تحصل، أي تقع. وكل حدَثٍ من الأحداث التي تدل عليها وقع في زمن، إمَّا ماض، كالأفعال الثلاثة الأولى، فإنها تدل على أن الزمن الذي وقعت فيه قد انقضى قبل كلام المتكلم، وإما أن يكون الزمن حاضرا، وإما أن يكون مستقبلا، كالأفعال الأربعة الأخيرة، فهي لم تقع قبل كلام المتكلم، وإنما وقعت في أثنائه، أو بعده. فإذا قيل: يصلي عمرو الآن، دلَّ "يصلي" على حدث، أي فعل في الوقت الحاضر، وإذا قيل: سيبني زيدٌ دارا، دل "يبني" على أن البناء سيكون في المستقبل.

٣- حرف: وهو ما دلَّ على معنىً في غيره، ولذلك لا يظهرُ المراد منه إلا بارتباطِه بغيره، مثلُ: مِنْ، إلى، في، على. فهذه الحروف ليس فيها ما يدل بمفرده على معنى في نفسه، كما يدل "أحمد"، و"سعاد" على رجل وامرأة بعينهما. فإذا وُضعت في كلام، دلَّت على معانٍ في غيرها، نحو: خرجتُ من الدار، ذهبتُ إلى المسجد، قعدتُ في المكتبة، الكوب على الطبق. فـ"مِن" تدلُّ على أن المكان الذي ابتدأ منه الخروج هو الدار، والابتداء معنى في الخروج، ودلَّت "إلى" على أن الذهاب كان إلى المسجد، أي إنه انتهى إليه، فدلَّت "على" على معنى في "ذهب"، هو انتهاء الغاية، ودلَّت "في" على أن المكان الذي وقعت فيه القراءة هو المكتبة، ودلت "على" على معنى في الكوب هو استعلاؤه على الطبق.

ولا يخفى أن الحرف في هذا يختلف عن الاسم والفعل، فكل من الاسم والفعل يدل على معنى قائم بنفسه، قبل أن يُضَمَّ إلى غيره، فـ"أحمد" يدل على رجل بعينه، و"صلَّى" يدل على حدَث، وقع في الزمن الماضي، ولا يدل الحرف على شيء حتى يضم إلى غيره.

علامات الاسمِ والفعلِ

من اليسير تمييز الاسم من الفعل، إذا فُهِمتْ حقيقة كلٍّ منهما، وهي أن الفعل يدل على حدث مقترن بالزمن، وأن الاسم يدل على ذات، أو معنى مجرد من الزمن. فمَن عرف هذا لم يَخْفَ عليه أنَّ "وَقَف، وقعد، وكتب"، أفعال، وليست بأسماء، وأنَّ "قلم، وسيارة، وقوة"، أسماء

وليست بأفعال. لكننا – حرصا على زيادة البيان والإيضاح – سنذكر لكل منهما علامات، تدل عليه دلالة قاطعة؛ لأنه لا يُشارَك فيها.

أولا– علامات الاسم

وأهمها:

١– قبول دخولِ حرفِ الجرِّ عليه، مثلُ: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى). فـ"عبد"، و"المسجد"، اسمان، لأن كلاً منهما دخل عليه حرف جر، هو الباء، و"من" و"إلى".

٢– قبولِ التَّنوينِ، وهو نون، تلحق الاسم، لفظًا لا خطًّا، مثلُ: (مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ ثيباتٍ وأبكاراً)، فهذه كلها أسماء؛ لأنها قبلت التنوين.

٣– قبولِ دخول "أل"، مثلُ: (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات).

٤– قبول دخول أدوات النداء، مثل: يا إبراهيمُ، أيا سعيدُ، أيْ عصامُ، فالأسماء هي التي تنادَى، ولا تنادى الأفعال.

وإذا حاولتَ أن تُدخِلَ شيئا من العلامات السابقة على فعل أو حرف لم تقبله، فهذا دليل على أنها أسماء.

ثانيًا– علامات الفعل

وهي:

١– تاءُ الفاعل، وتاءُ التأنيث الساكنة: وهما خاصان بالفعل الماضي،

مثل: صلَّيتُ، دعوتَ، علمتِ، صلَّتْ هند، صامتْ ليلى. فالتاء في الأفعال الثلاثة الأولى تاء الفاعل، وفي الفعلين الأخيرين تاء التأنيث.

٢- قبول دخول أدوات النصب والجزم: وقبولهما خاص بالفعل المضارع، كقول الله - تعالى -: (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا)، ف"لم" أداة جزم، و"لن" أداة نصب، فدخولهما على "تفعلوا" دليل على أنه فعل، وليس باسم. وكذلك: (لم يلد ولم يولد)، (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون).

٣- قبول دخول "قد"، والسين، و"سوف"، ونون التوكيد، وياء المخاطبة: وتدخل هذه على الفعل المضارع، ما عدا ياء المخاطبة، ونون التوكيد، فيشترك فيهما الفعل المضارع وفعل الأمر، مثل:

- (قد أفلح المؤمنون)، (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون).
- (فسيكفيكهم الله)، (ولسوف يعطيك ربك فترضى).
- (لينبذنَّ في الحطمة)، (لنسفعنْ بالناصية)، (فكُلي واشربي وقَرِّي عينا فإما تَرَينَّ من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما)، أنتِ تحبينَ الخير، وترغبين عما لا يُرْضي الله.

٤- قبول دخول أحرف المضارعة الأربعة المجموعة في "**أنيت**": وهو خاص بالمضارع، مثل: أكتبُ، نكتبُ، يكتبُ ، تكتبُ.

٣- علامات الحرف

أما الحرفُ، فليست له علامات؛ ولذلك قال بعض العلماء:

الحرفُ ما ليست له علامهْ تَرْكُ العلامةِ له علامهْ

تمرين

س١ ميِّز الكلام من غير الكلام، في هذه العبارات، مع ذكر السبب:

- (إن الإنسان لفي خسر).
- كان لي.
- عصفور في اليد.
- ما بِيَدي.
- عليَّ نذرٌ.
- استيقظتُ اليوم مطمئنا.
- (قل لهما قولا كريما).
- (متى هذا الوعد؟).
- هذا القلم.
- مَنْ أحسن إليك.
- انتبهْ.
- من أنت؟
- (أيان يوم الدين؟).

س٢ سمِّ الأسماء والأفعال والحروف في هذه الأبيات، وبيِّن ما اقترنتْ به من علامات، وما تقبل من العلامات، إن لم تقترن بها:

- قال عبد الله بن الدمينة:

قِفِي يا أُمَيْمَ القلب، نَقرأْ تحيةً ونشكو الهوى، ثم افعلي ما بدا لكِ
سَلِي البانةَ الغنَّاء بالأَجْرَعِ الذي به البانُ: هلْ حيَّيْتُ أطلالَ دارِكِ؟

وهل قمتُ في أظلالهنَّ عشيَّةً مقامَ أخي البأساءِ، واخترتُ ذلكِ؟
تعالَلْتِ كيْ أشجى، وما بكِ عِلَّةٌ، تريدينَ قتْلي، قدْ ظفرتِ بذلكِ!
وقولُكِ للعُوَّادِ: كيفَ ترونَه؟ فقالوا: قتيلٌ، قلتِ: أهونُ هالكِ
لئنْ ساءني أنْ نلتِني بمساءةٍ لقدْ سرَّني أني خطرتُ ببالكِ

س٣ قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ".

استخرج من الحديث الشريف:

١– الأسماء المعرفة بأل.

٢– اسما منوَّنا.

٣– الأفعال الماضية.

٤– الأفعال المضارعة.

الإعراب

من خصائص العربية أنها لغة معربة، أي إن أواخر الكلم فيها يغلب عليها أن تحرَّك، ويغلب على حركاتها أن تكون مسبَّبة عن عوامل تدخل عليها، فحروف الجر –مثلا– عوامل، وهي إذا دخلت على الكلمة جرَّتها، مثل: (قل أعوذ بربِّ الناس ملك الناس إله الناس من شرِّ الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدورِ الناس من الجنَّةِ والناس)، فالباء دخلت على "ربِّ" فجرَّته، ودخلت "من" على "شرِّ"، فجرَّته، ودخلت "في" على "صدور" فجرَّته، ودخلت "من" على "الجِنَّة" فجرَّته. و"إنَّ" وأخواتها عوامل، وتدخل على الجملة الاسمية، فتنصب المبتدأ وترفع الخبر، نحو: (إن ربَّك شديدُ العِقاب)، كأنَّ زيدًا أسدٌ، "ليت الزمانَ كلَّه ربيعٌ". فـ"إنَّ" نَصبَتْ "ربَّك"، ورفعت "شديدُ"، لأن الأول اسمها والثاني خبرها، ونصبت "كأنَّ" "زيدًا"، ورفعت "أسدٌ"، ونصبت "ليت" "الزمانَ"، ورفعت "ربيعٌ".

ودراسة العوامل الإعرابية، وما يوقع كلٌّ منها من أثر في الكلمة، إذا دخل عليها، هو الذي يعيننا على تجنُّب الخطأ، وموافقةِ الصواب، إذا تكلمنا أو كتبنا؛ لأنه يدلنا على ما ينبغي أن يُحرَّك به آخر كل كلمة، نتكلم بها.

والإعراب: تغيرُ آخرِ الكلمة بحسب العوامل الداخلة عليها، نحو:

- (وجاء ربُّك والملك صفًّا صفًّا) .
- (إن ربَّك لبالمرصاد).

- (قل أعوذ بربِّ الفلق) .

فـ"رَبّ" جاء مرفوعا في الآية الأولى؛ لأنه فاعل، والذي رفعه هو "جاء"، وجاء منصوبا في الآية الثانية لدخول "إنَّ" عليه، فـ"إن" هي التي نصبته، وجاء مجرورا في الآية الثالثة؛ لأنه سُبِق بحرف جرٍّ، هو الباء. فآخر حرف من "رَبّ"، وهو الباء، تغيرت حركته في الآيات الثلاث بالضمة والفتحة والكسرة، على حسب العوامل التي دخلت عليه، وهذا التغير هو الذي يُسمَّى الإعراب، وتُسمَّى الكلمة التي يتغير آخرها معربة. **فالمعرَب – إذن – هو ما تتغير حركة آخر حرف منه بحسب العوامل الإعرابية الداخلة عليه.** وتُسمَّى الحركات التي تظهر على آخر الكلمة علامات الإعراب. وللإعراب أربع علامات أصلية، هي: الضمة، والكسرة، والفتحة، والسكون.

ومن أجل تيسير دراسة المعربات سنقسِّمها إلى مرفوعات، ومنصوبات، ومجرورات، ومجزومات.

المرفوعات

أولا – المبتدأ

وهو اسم مجرَّد من العوامل اللفظية، مخبر عنه، نحو:

- (اللهُ ربُّنا).
- "المؤمنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ".
- الزهرةُ بيضاءُ.
- العلمُ نورٌ.
- الجهلُ ظلامٌ.
- القناعةُ كنزٌ.

فـ"الله"، و"المؤمن"، و"الزهرة"، و"العلم"، و"الجهل"، و"القناعة"، لم يسبقها عامل يعمل فيها، وأُخبر عنها بالألفاظ التي جاءت بعدها (ربُّنا، كيِّسٌ، بيضاءُ، نورٌ، ظلامٌ، كنزٌ)، وهذه الألفاظ تُتِمُّ مع الأسماء التي أَخْبَرت عنها معنى الجملة.

ومعرفة معنى الجملة التي يكون فيها المبتدأ هي التي تعيننا على تمييز المبتدأ، فإن المبتدأ هو الذي يُحكَم عليه بالخبر، أما الخبر فهو الذي يُحكم به. وإذا فهمنا هذا أمكن أن نميز المبتدأ من الخبر بسهولة. فلفظ الجلالة في المثال الأول حُكِم عليه بأنه ربنا، وحُكمَ على "المؤمن" بأنه "كيِّس"، وعلى "الزهرة" بأنها "بيضاء". ومن فهم هذا سهل عليه إعراب

المبتدأ والخبر. ومن فهم معنى الكلام، وجد إعرابه غايةً في السهولة، وليس كما يَظن الذين يحسبون أنه مبني على تخمين، لا على أساس من المعنى.

ولعلك ترى أن "اللهُ"، و"المؤمنُ"، و"الزهرةُ"، و"العلمُ"، و"الجهلُ" مرفوعة بالضمة؛ لأن كلا منها مبتدأ، فالمبتدأ -إذن- مرفوع.

ثانيا – الخبر

وهو ما تتم به الفائدة من الجملة مع المبتدأ، كما قد رأينا في أمثلة المبتدأ، وكما في هذه الأمثلة:

١- (اللهُ **الصمدُ**).

٢- الكتابُ **صديقٌ**.

٣- البرُّ **هيِّنٌ**.

٤- (اللهُ **يبسط الرزق** لمن يشاء).

٥- (وربُّك **يخلقُ ما يشاء**).

٦- (**لنا** أعمالُنا)، (و**لكم** أعمالكم).

٧- (و**فوقَ** كل ذي علم عليمٌ).

٨- الجنة **تحتَ أقدام الأمهات**.

٩- **أمامَك** يومٌ طويل.

١٠- الامتحانُ **غدًا**.

١١- العيدُ **اليومَ**.

فما تَمَّتْ به الجملة الأولى مع لفظ الجلالة هو "الصمد"، وما تمت به الجملة الثانية مع "الكتاب" هو "صديق"، وما تمت به الثالثة مع "البر" هو "هين"، وما تمت به الجملة الرابعة مع لفظ الجلالة هو جملة "يبسط الرزق"، وما تمت به الجملة الخامسة مع "ربك" هو جملة "يخلق ما يشاء". وما تمت به الجملة السادسة مع المبتدأ، وهو "أعمالنا وأعمالكم" هو (لنا، ولكم)، وما تمت به الجملة السابعة مع المبتدأ وهو "عليم" هو "فوقَ"، وما تمت به الثامنة مع المبتدأ هو "تحت أقدام الأمهات"، وما تمت به الجملة التاسعة مع المبتدأ، وهو "يوم" هو "أمامَك"، وما تمت به الجملة العاشرة مع المبتدأ، وهو "الامتحان" هو "غدا"، وما تمت به الجملة الحادية عشرة مع المبتدأ هو "اليوم". وتسمى العبارات التي يتم بها المعنى مع المبتدأ أخبارا.

وإذا تأملت العبارات التي تم بها المعنى مع المبتدأ، وجدتَّها أربعة أنواع:

النوع الأول- اسم مفرد: "الصمد"، "صديق"، "هين"، ونعني بأنه مفرد أنه ليس بجملة، ولا بشبه جملة.

النوع الثاني- جملة كاملة، وهي -في الأمثلة- جملة فعلية (يبسط الرزق، يخلق ما يشاء).

النوع الثالث- جار ومجرور: "لنا" في (لنا أعمالنا)، و"لكم"، في (ولكم أعمالكم).

النوع الرابع- ظرف، وهو إما ظرف مكان (أمامك، تحت أقدام)، وإما ظرف زمان (غدًا، اليوم).

ويسمى الجار والمجرور والظرف بنوعيه شبه جملة.

ولعلك ترى أن المبتدأ جاء متقدما على الخبر في الأمثلة كلها ما عدا المثال السادس والسابع والتاسع. والذي يميز المبتدأ من الخبر هو المعنى الذي يدلان عليه، فالمبتدأ ما حُكم عليه، والخبر ما حُكم به على المبتدأ.

فالخبر -إذن- هو ما تتم به الفائدة مع المبتدأ، ويكون مفردا، وجملة، وشبه جملة، والأصل أن يتأخر عن المبتدأ، وقد يتقدم عليه.

تمرين

س١ بين المبتدأ والخبر ونوعه، وعلامة إعراب كل منهما فيما يأتي:

- "الدينُ النصيحةُ".
- الشيبُ وَقارٌ.
- الحياة حُلْمٌ طويل.
- "المسلمونَ تتكافأُ دماؤُهُم".
- "البرُّ حسن الخلق".
- المالُ ينبوعُ الأحزانِ.
- "الأدبُ عبيرُ الروح".
- (الحمد لله رب العالمين).
- (بيدِك الخير).
- "في كلِّ كبد رطبة أجرٌ".
- (فيهما فاكهةٌ ونخل ورمان).
- (فيهن قاصراتُ الطرف).
- الجنة تحت ظلال السيوف.
- "بلابل الجليل تبكي الخليل".
- (ولكم في القصاص حياة).
- وُلِدَ الهدى؛ فالكائناتُ ضياءُ، وفَمُ الزمانِ تبسُّمٌ وثناءُ
- "آيةُ المنافق ثلاثٌ".

- "اليومَ خمرٌ، وغدًا أمرٌ".
- وللحلم أوقاتٌ، وللجهلُ مثلُها، ولكنَّ أوقاتي إلى الحلم أقرب
- "الحياةُ مسرحيةٌ إنسانية، يشهدها الملائكة والشياطين".
- الرجولةُ الصبرُ على المكاره من أجل غاية عظيمة.
- طاعةُ الهوى تقتل المروءة.
- "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

س٢ أعرب ما فوق الخط:

١- (الرحمن علَّم القرآن خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام والحب ذو العصف والريحان).

٢- "الطَّهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك".

ثالثا – اسم كان وأخواتها

وأخوات كان هي: أمسى، وأصبح، وأضحى، وظلَّ، وبات، وصار، وما برِح، وما فتِئ، وما انفكَّ، وما زال، وليس، وما دام. وهذه الأفعال تدخل على الجملة الاسمية المؤلفة من مبتدأ وخبر، فترفع المبتدأ، فيسمى اسمها، وتنصب الخبر، فيسمى خبرها، مثل:

- (وكان **ربُّك** قديرا).
- ستنجح ما دام **الِجدُّ** خلقا لك.
- أمسى **المريضُ** بارئاً.
- ما برح **الشرطيُّ** واقفا حتى أصبح.
- (وأصبح **فؤاد** أم موسى فارغا).
- بات **زيدٌ** قائما، وأصبح صائما.
- (وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظلَّ **وجهُه** ومسودًّا).
- ما زال **المطرُ** ينهمر.
- صار **الطالبُ** أستاذا.
- ما فتئ **الأستاذ** يكرر الشرح حتى فهمت.
- أضحى **الصعبُ** سهلا.

ولا يخفى أن خبر هذه الأفعال قد يكون مفردا، وقد يكون جملة، وقد يكون شبه جملة.

والمتصرف من هذه الأفعال يعمل مضارعه والأمر منه عمل الماضي، نحو:

- في آخر الزمان يصبح الرجل مؤمنا، ويمسي كافرا.
- سيصير المرءُ يوما جسدا ما فيه روح
- ما يزال الناس يعدون التواضع خلقا كريما.
- ما يفتأ زيد يحفظ ودَّ أصدقائه.
- ويضحي فتيتُ المسك فوق فراشها

تمرين

س١ بيِّن اسم كان وأخواتها وخبرها، فيما يأتي:

- "لاَ يَزَالُ العَبْدُ فِي صَلاَةٍ مَا كَانَ فِي المِسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ".
- كانت العجوزُ فتاةً.
- ظلَّ المطرُ ينهمر.
- ما فتئ زيدٌ يقرأ حتى نام.
- "لا يزال لسانُك رطبًا بذكر الله".
- (وكان في المدينة تسعة رهط).
- أضحى النأيُ بديلا من القرب.
- وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسامُ
- بات العابد قائما.
- ما انفك أخي يقرأ القرآن حتى أصبح.

س٢ أعرب ما فوق الخط:

- (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا).
- ما برح زيد يذكر الله حتى طلعت الشمس.
- لا تزلْ واقفا هاهنا حتى أعود إليك.
- بات المريض نائما، وأصبح سالما.
- (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة).
- ما كان زيد جاهلا.

رابعا – خبر إن وأخواتها

وأخوات "إن" هي: أنَّ، وكأن، ولكنَّ، وليت، ولعلَّ. و"أنَّ وإنَّ" تفيدان التوكيد، نحو: (إن **الساعةَ آتيةٌ**)، (اعلموا أن **اللهَ شديدُ** العقاب)، وتفيد "ليت" التمني، وهو طلب أمر محبوب، مستحيل الوقوع أو صعبُه، نحو: ليت الحياةَ تدومُ، وتفيد "لعلَّ" الترجي، وهو طلب أمر محبوب، ممكن الوقوع، نحو: (لعلَّ **الساعةَ قريبٌ**)، وتفيد "كأنَّ" التشبيه، نحو: كأنَّ زيدًا أسدٌ، وتفيد "لكنَّ" الاستدراك، وهو الاستثناء، نحو: الجو حارٌّ، لكن **الدرسَ ممتعٌ**.

وتنصب "إن" وأخواتها المبتدأ، وترفع الخبر. ويكون الخبر مفردا وجملة وشبه جملة، نحو:

- ليت لي صديقا، لا يتغير.
- كأنَّ على رؤوسهم الطيرَ.
-(إن في ذلك لآيةً لمن خاف عذاب الآخرة).
- (إن الله يحب التوابين).
-(ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء).

تمرين

س١ بيِّن اسم "إنَّ" وأخواتها وخبرها، ونوعه في هذه الجمل:

- (إن الله وملائكته يصلون على النبي).
- إنَّ البُغَاثَ بأَرْضِنَا يَسْتَنْسِر.
- جهل زيد على عمرو، لكنَّ عمرًا أعرض عنه امتثالا لأمر الله.
- كأنَّ القمر كرة.
- ليت الكواكب تدنو لي؛ فأنظمها عقود مدح؛ فما أرضى لكم كلمي
- (وإن الآخرة هي دار القرار).
- "لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُم".

س١ أعرب ما فوق الخط فيما يأتي:

- (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم).
- لعل الأيام تمتد بك، فينكشف لك المخبوء.
- فيا ليت الشباب يعود يوما، فأخبره بما فعل المشيب
- علِّلاني؛ فإنَّ بيض الأماني فَنِيَتْ، والظلامُ ليس بفانِ
- "إن في السماء لخبرا".

خامسا – الفاعل

وهو اسم قُدِّم عليه فعل، وأُسند إليه على أنه قام به، أو وقع منه. نحو:

-صلَّى زيدٌ.

- مرض بكرٌ.

فـ"صلى" فعل، وهو مسند إلى زيد، وزيد هو الذي فعل هذا الفعل. و"مرض" فعل مسند إلى "بكر"، لكن بكرا لم يفعل المرض كما فعل زيد الصلاة، وإنما المرض قام بجسمه، أو نزل به، لكن لما كان الفعل مسندا إليه كما أسند "صلَّى" إلى "زيد"، سُمِّي فاعلا كما يسمى "زيد" فاعلا لـ"صلى".

ويذكَّر الفعل مع الفاعل مرة، ويؤنث أخرى، وتارة يكون التذكير والتأنيث واجبين، وتارة يكونان جائزين. فيجب تأنيث الفعل مع الفاعل في هذه الحالات:

١- إذا كان الفاعل مؤنثا حقيقي التأنيث، لم يَفصل بينه وبين فعله فاصل، نحو: (إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا). فـ"امرأة" فاعل، وهي مؤنث حقيقي التأنيث، متصل بفعله (قالت) ولم يفصل بينهما فاصل؛ فوجب تأنيث الفعل لذلك.

٢- إذا كان الفاعل ضميرا مستترا يعود على مؤنث حقيقي التأنيث أو مجازي التأنيث، فحقيقي التأنيث مثل: (قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله)، ففاعل "قالت" ضمير مستتر يعود على "مريم"، وهي مؤنث حقيقي التأنيث. والمجازي التأنيث مثل: (إذا السماء انفطرت)، الزهرة تفتحت. ففاعل الفعلين (انفطرت، وتفتحت) ضمير مستتر يعود على "السماء والزهرة"، وهما مؤنثان مجازيا التأنيث.

٣- أن يكون الفاعل ضميرا مستترا، يعود على جمع تكسير لمذكر غير عاقل، نحو: (وإذا الكواكب **انتشرت**)، ففاعل (انتشرت) ضمير مستتر يعود على الكواكب، والكواكب جمع تكسير لغير عاقل.

ويجب التذكير في هذه الحالات:

١- أن يكون الفاعل مذكَّرا حقيقي التذكير، مفردا، أو مثنى، أو جمعَ مذكر سالما، نحو:

- (**قال** نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا).
- (**قال** رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهم).
- (قد **أفلح** المؤمنون).

٢- أن يكون الفاعل مؤنثًا حقيقيَّ التأنيث أو مجازيَّه، مفصولا بينه وبين الفعل بـ"إلا"، نحو:

- ما **حضرَ** إلا خديجةُ.

- ما **سقطَ** إلا شجرةٌ.

ثالثا- يجوز التأنيث والتذكير في هذه الحالات:

١- إذا كان الفاعل اسما ظاهرا مؤنثا مجازي التأنيث، نحو: (**وأشرقت** الأرض بنور ربها)، فـ"الأرض" فاعل "أشرق"، وهو اسم ظاهر مؤنث مجازي التأنيث، فيجوز التأنيث كما في الآية، ويجوز التذكير، كأن يقال في غير القرآن: أشرق الأرض.

٢- إذا كان الفاعل جمع تكسير، نحو: (لقد **جاءت** رسل ربنا بالحق)، وجاء رسل ربنا، **جاء** الرجال، **وجاءت** الرجال.

٣- إذا كان الفاعل اسمَ جمع، وهو الاسم الدال على جمع ولكن ليس له مفرد من لفظه، نحو: (**وقال** نسوة في المدينة)/ قالت نسوة، (**كذَّبتْ** قوم نوح المرسلين)/ (وكذَّب به قومك وهو الحق) / (إذ **قال** له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين).

٤- إذا كان الفاعل اسمَ جنس جمعيا، وهو الذي يفرق بينه وبين مفرده بتاء، أو ياء مشددة، نحو: تَمْر، زَهْر، شَجَر، عرَب، تُرْك، رُوم، أعراب. فمفردات هذه الجموع هي: تمرة، زهرة، شجرة، عربي، تركي، رومي، أعرابي. فيقال: (**قالت** الأعراب) / **قال** الأعراب، **أورق** الشجر / **أورقت** الشجر، **انتصر** العرب / **انتصرت** العرب. وهكذا.

سادسا – نائب الفاعل

وهو مفعول به، حُذِف فاعله، فأقيم مقامه، وغُيِّرت له صيغة الفعل، بأن يُضمَّ أولُّه، ويُكسر ما قبل آخره، إن كان ماضياً، نحو: (قُتِل الإنسانُ)، أُصِلح الخطأُ. فإن كان معتلَّ الوسط كُسر أوله، وقُلِب حرف العلة ياء، نحو: قِيل الكلام، بِيعت السلعة. فإن كان خماسيا أوسداسيا مبدوءًا بهمزة وصل ضُمَّ مع أوله ثالثُه، نحو: اُجتُمع، اُستُعمِل. فإن كان مبدوءًا بتاء زائدة ضُمَّ مع أوله ثانيه، نحو: تُعُلِّم، تُكُلِّم. فإن كان الفعل المبني للمجهول مضارعا ضم أوله وفتح ما قبل آخره، نحو: (**يُعْرَف** المجرمون بسيماهم **فيُؤْخَذُ** بالنواصي والأقدام).

وحُكْم تأنيث الفعل مع نائب الفاعل كحكم تأنيث الفعل مع الفاعل، فيجب التأنيث حيث يجب، ويجوز حيث يجوز. فالفعل "جُمِع" في (وجُمِع الشمس والقمر) يجوز تذكيره وتأنيثه؛ لأن نائب الفاعل مؤنث مجازي التأنيث (الشمس). والفعل "غُلِب" في الآية: (غُلِبت الروم) يجوز تذكيره وتأنيثه؛ لأن نائب الفاعل اسم جنس جمعي، فيجوز أن يقال أيضا –في غير القرآن–: **غلب** الروم. و"سُيِّر" في قول الله – تعالى –: (وإذا الجبال **سُيِّرت**) يجب تأنيثه؛ لأن نائب الفاعل ضمير مستتر يعود على جمع تكسير لغير عاقل. و"كُوِّر" في قوله: (إذا الشمس **كُوِّرت**)

يجب تأنيثه لأن نائب الفاعل ضمير مستتر يعود على مؤنث مجازي التأنيث. وهكذا سائر الأحكام.

سابعا – الفعل المضارع المجرد من الناصب والجازم

ويكون مرفوعا أبدا، نحو:

- (والله **يعلمُ** المفسد من المصلح).
- (إن ربك يعلمُ أنك تقومُ أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه).
- (سيُهزَم الجمعُ).
- (وهي تفور تكاد تميز من الغيظ)

فهذه الأفعال: (يعلم، تقوم، يهزم، تفور، تكاد، تميز) لم يسبقها ناصب ولا جازم، فهي مرفوعة، وعلامة رفعها الضمة.

تمرين

س١ (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا السماءكشطت وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت).

- (إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت).

- (إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت وإذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت).

استخرج ما في الآيات من أفعال مؤنثة، وبين حكم تأنيثها وسببه.

س٢ بين الفعل المبني للمجهول والفعل المبني للمعلوم، والفاعل ونائب الفاعل فيما يأتي، وعلامة إعرابهما:

- "إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ".

-(وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا).

- رُوجعَ الدرسُ.

- قد قامت الصلاة.

- (آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه).

- قال نفطويه: "إذا استحكمت المودة، بطلت التكاليف".

- "أقُصِرتِ الصلاةُ؟".
- (يوم يُنفخ في الصور فتأتون أفواجا وفُتحت السماء فكانت أبوابا وسُيرت الجبال فكانت سرابا).
- تقول بُنيَّتي: أوْصِ الموالي، وكيف وصاة من هو عنك جاف؟!
- مَنْ طابَ ثناؤُهُ ، أُمِّلَ عطاؤُهُ.
- (كلما نَضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها).
- (كلما أُلقِي فيها فوج سألهم خزنتها).
- بانت سعاد؛ فقلبي اليوم متبول متيم إثرها، لم يُفْدَ مكبول

س٣ مثِّل لما يأتي في كلام مفيد:

- فعل مؤنث؛ لأن فاعله اسم جنس جمعي، وبين حكم التأنيث.
- فعل مذكر؛ لأن نائب فاعله مثنى مذكر حقيقي التذكير، واذكر حكم التذكير.
- فعل، فاعله ضمير مستتر يعود على مؤنث حقيقي التأنيث، واذكر حكم تأنثيه.
- فعل مبني للمجهول، نائب فاعله ضمير يعود على جمع تكسير لغير عاقل، وبين حكم تأنيثه.
- فعل مبني للمجهول، نائب فاعله اسم جمع، واذكر حكم تأنيثه.
- فعل مبني للمعلوم، فاعله مفصول عنه بإلا، واذكر حكم التأنيث.
- فعل مبني للمجهول، نائب فاعله اسم جمع، واذكر حكم تأنيثه.

س٤ بين الأفعال المرفوعة وعلامة رفعها فيما يأتي:

- (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون).
- (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا).
- (هل تحسُّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا).

المنصوبات

١- المفعول به

وهو الاسم الذي يقع عليه فعل الفاعل، نحو: (ونادى نوحٌ **ابنَه**). فـ"**ابن**" مفعول به؛ لأنه هو الذي ناداه نوح. والأصل في المفعول به أن يأتي بعد الفاعل، ولكنه قد يتقدم عليه، وقد يتقدم على الفعل، نحو:

- (وإذ ابتلى **إبراهيمَ** ربُّه).
- أكرم زيداً عمرٌو.
- (و**كلاًّ** آتينا حكما وعلما).
- **زيدًا** دعوتُ.
- **كتابًا** اشتريت.

فـ"إبراهيم" مفعول به مقدَّم، و"ربُّه" فاعل مؤخر، و"كلاًّ" مفعول به مقدم، وكذلك "زيدا،" و"كتابا"، وقد تقدم الثلاثة على الفعل.

والفعل قد ينصب مفعولا واحدا وقد ينصب مفعولين، فمن نصب الفعل مفعولين:

- أعرت زيدا كتابا. فـ"زيدا" مفعول به أول، و"كتابا" مفعول به ثان.
- أسأل اللهَ العافيةَ.
- ظننت بكرا عاقلا.
- حسبت عمرا غائبا.

- جعلت القراءة ديدناً.

٢- المفعول المطلق

المفعل المطلق هو: المصدر المؤكد لعامله، أو المبين لنوعه، أو لعدده. وعامله هو الفعل الذي قبله؛ لأنه هو الذي يعمل فيه النصب، مثل:

١- (فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا)، (إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا). فـ"صبًّا، وشقًّا، وكيدًا"، مصادر مؤكدة لعواملها، وهي الأفعال التي قبلها: صبَّ، شقَّ، كاد. وإنما كانت مؤكدة لعواملها لأن الإتيان بها بعدها بمنزلة تكرارها، فكما أنه إذا قيل: صبَّ صبَّ، شقَّ شقَّ، كادَ كادَ، كان الفعل الثاني من هذه الأفعال مؤكدا للفعل الأول، كذلك إذا قيل: صبَّ صبًّا، شقَّ شقًّا، كاد كيدا، كان المصدر مؤكدا للفعل الذي قبله.

٢- (وقل لهما **قولا** كريما)، (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا)، (إنا فتحنا لك فتحا مبينا)، فـ "قولاً، وقرْضًا، وفتْحًا" مصادر مبيِّنة لنوع عواملها، وهي الأفعال: قلْ، ويقرض، وفتَح. ومعنى أنها مبينة لنوعها أن "القول، والقرض، والفتح" أنواع، والقول المذكور في الآية الأولى هو القول الكريم، والقرض في الآية الثانية هو القرض الحسن، والفتح في الآية الأخيرة هو الفتح المبين.

٣- (فدُكَّتا دكَّةً واحدة)، (فنظر نظرةً في النجوم)، وقف وقفتين، نظر إليه نظراتٍ، فـ"دكةً، ونظرةً، ووقفتين، ونظرات" مصادر مبينة لعدد عواملها، أي إن "دكة واحدة" مبينة لعدد الدك، و"نظرة" مبينة لعدد النظر، و"وقفتيين" مبينة لعدد الوقوف، و"نظرات" لعدد النظر.

٣- المفعول لأجله

وهو مصدر يبين سبب وقوع الفعل الذي قبله، نحو: قمتُ **إكراما** لأبي، فالإكرام هو سبب القيام، وكذلك قول الله - تعالى -: (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق **حذرَ** الموت)، فالحذر هو سبب وضع الأصابع في الآذان. وقول الشاعر:

أهابكِ **إجلالا**، وما بكِ قدرة عليَّ، ولكن مِلْءُ عينٍ حبيبُها

فالإجلال هو سبب الهيبة.

٤- المفعول فيه

وهو ظرف الزمان والمكان. وسمي مفعولا فيه؛ لأنه يبين الزمان أو المكان اللذين يقع فيهما الفعل، نحو:

- قدمت يومَ الجمعة.
- صليت خلفَ الإمام.

فـ"يوم" هو الزمن الذي وقع فيه القدوم، و"خلف" هو المكان الذي وقع فيه الفعل "صلى".

ولا بد أن يكون الاسم الذي يكون ظرفا مشتملا على معنى (في) الدالة على الظرفية، فإن لم يشتمل عليها لم يكن ظرفا، وإن دلَّ على زمان أو مكان، فـ"صليت خلف الإمام" معناها: صليت في مكان خلف الإمام، و"قدمت يوم الجمعة" معناها: قدمت في يوم الجمعة، لكن "يوم"، في قولنا: يومُ الجمعةُ عيدٌ، ليس بظرف، وإن كان يدل على الزمان، وإنما هو مبتدأ، لأن المراد ليس: "في يوم الجمعة عيد"؛ وإنما الحكم على يوم الجمعة بأنه عيد، فهو –من أجل ذلك– مبتدأ و"عيد" خبره. وكذلك قوله – تعالى –: (إن موعدهم الصبح). فالصبح خبر "إن" وليس ظرف زمان؛ لأنه لا يشتمل على معنى "في" الظرفية، وإن كان يدل على الزمان.

٥– الحال

وهو: وصْفٌ، نكرة، يؤتى به لبيان هيئة صاحبه، نحو:

– (فلما رآها تهتز كأنها جان ولَّى مدبرًا).

– (انفروا خفافا وثقالا).

– أتاك الربيعُ الطلق يختال ضاحكًا من الحسن حتى كاد ان يتكلما

فـ"مدبرا" حال، أي إنها بينت هيئة موسى – عليه السلام – حين ولَّى، فهو صاحب الحال، و"خفافا وثقالا" حالان، وهما يبينان هيئة المخاطبين إذ ينفرون، وهم أصحاب الحالين، و"ضاحكا" حال، تبين هيئة الربيع حين أتى، والربيع هو صاحبها.

والحال منصوب أبدا.

٦– التمييز

وهو اسم نكرة، يزيل إبهام اسم أو نسبة قبله، نحو:

- (وواعدنا موسى ثلاثين **ليلةً**).
- غرستُ فدَّانا **عنباً**.
- تصدقتُ بمدٍّ **بُرًّا**.
- عندي مترٌ **حريراً**.
- (اشتعل الرأس **شيباً**)، (وفجَّرنا الأرض **عيوناً**).

فـ"ليلة، وعنبا، وبُرًّا، وحريرا"، أزالت إبهام الكلمات التي قبلها، فقبل أن تُذكر كان المراد من "ثلاثين، وفدانا، ومدٍّ"، مبهما، أي غيرَ معروف، فلما ذُكرت، زال إبهامها، وأصبح المراد منها معروفا. أما "شيبا وعيونا"، فأزالا إبهام نسبة، ولم يُزيلا إبهام كلمة مفردة، فليس في الآيتين كلمة مبهمة، ولكن المبهم هو نسبة الاشتعال إلى الرأس، أي إن الآية لما

قالت "اشتعل الرأس" بقي ما اشتعل به الرأس مبهما، فلما ذكرت "شيبا" زال إبهام ما اشتعل به الرأس، وكذلك "عيونا"، لما ذُكرت زال إبهام نسبة التفجير إلى الأرض، إذ كان من الممكن أن تكون الأرض فُجرت أنهارا، أو عيونا، أو غير ذلك، فلما ذكرت "العيون" اتضح المراد، وكذلك "اشتعل الرأس"، من الممكن أن يكون ما اشتعل به الرأس نارا، أو شيئا آخر، فلما قيل "شيبا" زال إبهام ما اشتعل به الرأس.

ويسمى التمييز الذي يزيل إبهاما في كلمة مفردة تمييزَ مفرد، ويسمى الذي يزيل إبهاما في نسبة تمييزَ نسبة.

تمرين

س١ استخرج المنصوب من الأسماء، في هذه الجمل، واذكر نوعه:

– (ظلماتٌ بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها).

– ما أحْسَنَ تواضع الأَغنياء طلباً لما عند الله، وأحْسَنُ منه تِيهُ الفقراء على الأَغنياء اتكالاً على الله.

–(فكسونا العظام لحما).

– امتلأ الإناء لبنا.

– أعطيت السائل ريالا.

–"وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ".

– أوقع نفسه في الهلاك طمعًا في المالِ.

– (ووجدَك ضالاً فهدى).

– (قالتا أتينا طائعين).

– وإني رأيت الشمس زادت محبةً إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

–(إذا رُجَّت الأرض رجًّا وبست الجبال بسا).

– (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر).

–(فتمثَّل لها بشرا سويا).

– (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجةً).

–(يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا).

– (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا).

– (ثم صُبُّوا فوق رأسه من عذاب الحميم).

- (بل اللهَ فاعبد وكن من الشاكرين).
- (فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا).
- (فولِّ وجهَك شطرَ المسجد الحرام).
-(إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله).
- كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا
-(وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب).
- (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا).
- اشتريت بخمسين ريالا زيتا.
- وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغنُّ، غضيضُ الطرف مكحول
- (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا).
- (يد الله فوق أيديهم).
-أحبكَ حبينِ حبَّ الهوى، وحبًّا لأنك أهل لذاكا
- (إني رأيت أحد عشر كوكبا).
- ذَخَرْتُ دَمْعي لأبكي المِكرماتِ بِهِ فَلَسْتُ أبذُلُهُ حُزْناً لملحودِ
- (وآتيناه الحكم صبيا).

س٢ أعرب ما فوق الخط:

- (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين).
- وَلستُ بحلاَّل التلاع مَخَافَةً وَلَكِن مَتى يسترفد القَوْم أرفد
- (أتاها أمرنا ليلا أو نهارا).
- (والناشطات نشطا والسابحات سبحا).

-(إنهم كانوا قبل ذلك مترفين).

- يُغضي حياءً، ويُغضَى من مهابته فما يكلَّم إلا حين يبتسمُ

-(أسمعْ بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون).

- غرست الأرض نخلا.

- عميرةَ ودِّعْ، إن تجهزتَ غازيًا كفى الشيب والإسلام للمرء نهيا

-أَجِدُ الملامةَ في هواكِ لذيذة حبًّا لذكرك، فليلمني اللوَّمُ

- (ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إملاق).

- (ولقد صبحهم بكرةً عذاب مستقر).

-ضممت جناحيه على القلب ضمة تموت الخوافي تحتها والقوادم

- عرفت الليالِيَ قبل ما صنعت بنا فلما دهتني لم تزدني بها علما

-(أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا).

- لئن كان برد الماء هيمان صاديا إلي حبيبا إنها لحبيب

٧- المنادى

النداء أسلوب يراد به تنبيه المخاطب على ما يقال له، وأشهر أدواته: يا، والهمزة، وأَيَا، وهَيَا، وأيْ، نحو: "أزيدُ، هذا أبوك"، "أي بني، عليك بالصدق"،

أيا جبلي نعمان، بالله خَلِّيا نسيمَ الصَّبا يَخْلُص إليَّ نَسِيمُها

- هيا ربِّ، أسألك المغفرة.

وأهم أنواع المنادى:

١- المضاف، نحو: (يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم)، (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن).

يا **راقدَ** الليل مسرورا بأوله، إن الحوادثَ قد يطرقْن أسحارَا

ف "أهل"، و"نساء"، و"راقد"، مناديات، وهي مضافة إلى ما بعدها من الأسماء (الكتاب، ونساء والليل).

٢- الشبيه بالمضاف، وهو ما يتعلق به شيء من تمام معناه، نحو:

- أيا **جالساً على الكرسي**، لا تسقط.

يا **ناظرًا في الكتاب**، تنبَّه إلى ما فيه من أخطاء.

ف "جالسا" منادى، و"على الكرسي" متعلق به، ويتمم معناه، و"ناظرا" منادى، و"في الكتاب" متعلق به ويتمم معناه.

٣- النكرة المجهولة، وهي التي لا يراد بها منادى بعينه، وإنما يراد بها كل من تصدُق عليه، نحو قول الواعظ: يا **غافلاً**، إن الموت يطلبك. فـ"غافلا" لا يراد به غافل بعينه، وإنما يراد به كل غافل، كائنا من كان.

وهذه الأنواع الثلاثة من المنادى (المضاف، والشبيه بالمضاف، والنكرة المجهولة) تُنْصَب، كما في الأمثلة السابقة.

٤- العَلَم المفرد، نحو: (قالوا يا **نوحُ** قد جادلتنا)، (قالوا يا **هودُ** ما جئتنا ببينة)، (يا مريمُ اقنتي لربك).

٥- النكرة المقصودة، وهي التي يراد بها منادى بعينه، وهي بخلاف النكرة المجهولة، نحو:

- (يا نارُ كوني بردا وسلاما على إبراهيم)، فالنار في الآية يراد بها النار التي أُلْقي فيها إبراهيم -عليه السلام-.

- قولك لامرئ تخاطبه: يا رجلُ، أطلتَ الكلام! وأنت تعني الرجل الذي تكلمه وحده.

وهذان النوعان (العلم المفرد، والنكرة المقصودة) يُبْنَيان على الضم.

وإذا كان المنادى مقترنا بـ"أل" وجب أن يسبق بـ"أيها"، إن كان مذكرا، و"أيتها" إن كان مؤنثا، ويبنيان على الضم، ويبنى المنادى على الضم، ويعرب صفة، ويعرب "أيها" و"أيتها" مناديين مبنيين على الضم، والهاء فيهما للتنبيه، فهذه الجملة (يأيها الناس اتقوا ربكم) هكذا تعرب:

يا: حرف نداء، وأي: منادى مبني على الضم، وها: حرف تنبيه لا محل له من الإعراب، والناس صفة مرفوعة. وكذلك تعرب: (يأيتها النفس المطمئنة).

تمرين

١ بيِّن المنادى ونوعه وعلامته الإعرابية فيما يأتي:

– أمعفِّرَ الليثِ الهِزَبْرِ بسوطه، لمن ادَّخرتَ الصارمَ المسلولا؟

– (يا حسرةً على العباد).

– يا غافلا، وله في الدهر موعظة، إن كنت في سنة، فالدهر يقظانُ

–(يا أرضُ ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي).

– (يأيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم).

أبْنْتَ الدهر، عندي كل بنت، فكيف خلصت أنت من الزحام؟

– (يا هامان ابن صرحا).

– (يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا).

– أيا راكبا، إما عرضت، فبلِّغَنْ نداماي من نجران أن لا تلاقيا

س٢ أعرب ما فوق الخط:

– يا أخا البدر سناءً وسَناً، حفظَ الله زمانا أطلعكْ

– (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوًّا قبل هذا).

– (يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا).

– يا واعظ، هلاَّ وعظت نفسك!

– ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ

– يا راكبا، إن الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ من صُبْحِ خامسةٍ، وأنتَ موفَّقُ

– يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّل حذرَ العِدا، وبه الفؤادُ موكَّلُ

٨- الاستثناء

الاستثناء هو: إخراج ما بعد أداة الاستثناء من حكم ما قبلها. فإذا قيل: جاء القوم إلا زيدا، كان معنى الكلام أن زيدا لم يجئ، والذي أخرجه من المجيء هو "إلا"، وهي أداة الاستثناء، وزيد هو ما بعدها، والمجيء هو الحكم الذي أخرج منه، وهو ما قبل "إلا".

وأشهر أدوات الاستثناء: إلا، وغير، وسِوَى، وخلا، وعدا.

وللمستثنى بـ"إلا" ثلاث حالات:

١- الاستثناء التام الموجب: وهو الذي يذكر فيه المستثنى والمستثنى منه، ويكون الكلام غير منفي، نحو: حضر الطلاب إلا زيدا. فالمستثنى "زيد"، والمستثنى منه "الطلاب"، والكلام مثبت، وإثباته هو معنى أنه موجب. فيجب نصب المستثنى، حينئذ.

٢- الاستثناء التام المنفي، وهو الذي يذكر فيه المستثنى منه، ويكون الكلام منفيا، نحو: ما غاب الطلاب إلا زيدًا. والفرق بين هذا والذي قبله أن هذا منفي، وذلك مثبت.

وفي المستثنى حينئذ وجهان: النصب على أنه مستثنى، والإتباع، وهو إعرابه كإعراب المستثنى منه، فيرفع إن كان مرفوعا، ويجر إن كان مجرورا، نحو:

- ما مررت بأحدٍ إلا زيدٍ، أو زيدًا.

- ما زارني أحدٌ إلا عمروٌ، أو عمرًا.

٣- الاستثناء المُفَرَّغ، وهو الذي يحذف منه المستثنى منه، ويكون الكلام منفيا، فيعرب ما بعد "إلا" بحسب العوامل الداخلة عليه، نحو: - ما قام إلا عليٌّ.

- ما رأيت إلا طالباً.

- ما سلَّمت إلا على خالد.

- ما رأيت صديقي إلا ضاحكا.

فهذه الجمل منفية بـ"ما"، وحُذف منها المستثنى، وهو "أحد". فيعرب ما بعد "إلا" فيها على حسب موقعه في الجملة، كما لو كانت "إلا"، وأداة النفي غير موجودتين. فـ"علي" في الجملة الأولى يعرب فاعلا، ويعرب "طالبا" في الجملة الثانية مفعولا به، ويعرب "خالد" اسما مجرورا بـ"على"، ويعرب "ضاحكا" حالا، فإعراب الأسماء الأربعة في هذه الأساليب كإعرابها في قولنا:

- قام عليٌّ.

- رأيت طالبا.

- سلمت على عليٍّ.

- رأيت صديقي ضاحكا.

أما "غير" و"سوى"، فيعربان إعراب المستثنى الواقع بعد (إلا) في الحالات الثلاث، نحو:

- حضر الطلابُ غيرَ زيدٍ.
- ما غاب الطلابُ غيرُ عمرو، أو غيرَ عمرو.
- ما غاب غيرُ خالد.
- ما سلَّمت على غيرِ بكر.

فالاستثناء في الجملة الأولى تام موجب، ولذلك جاءت "غير" فيه منصوبة، كما ينصب ما بعد "إلا" في الاستثناء التام الموجب. والاستثناء في الجملة الثانية تام منفي، ولذلك كان في "غير" وجهان: الإتباع، والنصب، كما أن فيما بعد "إلا" في الاستثناء التام المنفي وجهين: الإتباع والنصب. والاستثناء في الجملتين الأخيرتين مفرغ، ولذلك كان إعراب "غير" فيهما على حسب موقعها في الجملة (فاعلا في الأولى، واسما مجرورا في الثانية)، كما أن ما بعد "إلا" في الاستثناء المفرغ يعرب على حسب موقعه في الجملة.

أما الاسم الذي يقع بعد "غير" و"سوى"، فيُجَرُّ بالإضافة، أبدا.

أما "خلا" و"عدا"، فإذا دخلت عليهما "ما"، نُصِب الاسم الذي بعدهما على أنه مفعول به، وهما فعلان، نحو:

ألا كلُّ شيء **ما خلا اللهَ** باطل وكلُّ نعيم -لا محالة- زائلُ

فإذا جُرِّدا من "ما"، كان في الاسم الذي بعدهما وجهان: النصب، على أنه مفعول به، وهما فعلان، والجر، على أنه اسم مجرور، وهما حرفا جرٍّ، نحو:

- رأيت الطلاب **عدا زيدًا**، أو عدا زيدٍ.
- قرأت الكتبَ خلا كتاباً، أو خلا كتابٍ.

تمرين

س١ بين المستثنى والمستثنى منه، ونوع الاستثناء، في هذه الجمل:

- (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما).
- (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور).
- (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).
-(ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل).
- (ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون).
-كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الأعداء
-(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون).
- نجح الطلاب غير زيد.
- ما جاءني أحد إلا زيدا.

س٢ أعرب ما فوق الخط:

- ما كان محمد إلا صديقا حميما.
- ردَّ المستعير الكتب ما عدا كتابا.
- حضر الطلاب خلا زيد.
- ما رأيت عمراً إلا باسما.
- ما أعجبني من زيد غير خلقه.

٩- الفعل المضارع المسبوق بناصب

ونواصب الفعل المضارع هي:

١- أنْ، نحو: (أيحبُّ أحدكم أن **يأكلَ** لحم أخيه ميتا).

٢- لن، نحو: (لن **ينالَ** اللهَ لحومُها).

٣- كي، نحو: أطبْ مطعمَك كي **تستجابَ** دعوتك .

٤- إذن، بشرط أن تقع في أول الكلام، وأن يكون الفعل بعدها مستقبلاً، متصلاً بها، أو مفصولا عنها بالقسم أو "لا"، نحو: إذن **تنجحَ**، جواباً لمن قال: اجتهدتُ كثيراً، ونحو: إذن - والله - **أُكرِمَك**، ونحو: إذن لا **أفعلَ** .

٥- لام التعليل، نحو: (إنا فتحنا لك فتحا مبينا **ليغفرَ** لك الله).

٦- لام الجحود، وهي الواقعة بعد "ما كان" أو "لم يكن"، نحو: (ما كان الله **ليذرَ** المؤمنين على ما أنتم عليه)، (لم يكن الله **ليغفرَ** لهم).

٧- حتى الدالة على التعليل أو الغاية، نحو: (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى **يرجعَ** إلينا موسى)، اجتهدْ حتى **تنجحَ**، انتبه حتى **تفهمَ**. فهي في المثال الأول تفيد انتهاء الغاية، أي إن العكوف على العِجْل سيستمرُّ إلى أن يرجع موسى - عليه السلام -، وفي المثال الثاني تفيد التعليل، أي إن النجاح علته الاجتهاد، والفهم علته الانتباه.

٨- فاء السببية، مسبوقة بنفي أو طلب، نحو:

– ما رأيتك؛ **فأسلمَ** عليك، فـ"أسلِّم" منصوب بعد فاء السببية مسبوقةً بنفي.

– (لا تفتروا على الله كذبا **فيسحتَكم** بعذاب)، و"يسحت" منصوب بعد فاء السببية مسبوقة بنهي.

– (ياليتني كنت معهم فأفوزَ فوزا عظيما). فـ"أفوز" منصوب بعد فاء السببية مسبوقة بتمنٍّ. وهكذا.

٩– واو المعية مسبوقة بنفي أو طلب، نحو:

– لا تنهَ عن خلق **وتأتيَ** مثله عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

فالفعل "تأتيَ" منصوب بعد واو المعية مسبوقةً بنهي. والواو التي قبل "تأتي" بمعنى "مع"، ومعنى البيت: لا تنه عن خلق مع إتيان خلق مثله، أي لا تنه عن شيء وأنت تفعل مثله.

والمراد بالطلب: الأمر، والنهي، والدعاء، والعَرْض، والتحضيض، والتمني، والاستفهام.

ثالثا– المجزومات

والجزم خاص بالفعل المضارع وحده. وجازم الفعل المضارع ثلاثة أنواع:

١– جازم يجزم فعلا واحدا: والجوازم التي تجزم فعلا واحدا هي: لم، ولما، ولا الناهية، ولام الأمر. نحو:

– (لم **يلد** ولم **يولد** ولم **يكن** له كفوا أحد).

– لَمَّا يَعُدْ أبي من سفره.

– لا تستهنْ بالثواني، فإنما العمر ثوانٍ.

– ليجتهدْ من يخاف الرسوب.

٢– جازم يجزم فعلين، هو أدوات الشرط الجازمة: إنْ، مَنْ، ما، مهما، متى، أيَّان، أين، أنَّى، حيثما، أي، نحو:

– إن **تنصرْ** الله **ينصرْك**.

– من **يجتهدْ ينجحْ**.

– مهما **يَكنْ** عند امرئ من خُلُق يُعلمْ.

– ما تقدِّمْ لنفسك، تجدْه عند ربك.

– متى تزرْني، أفرحْ بزيارتك.

– أيانَ **تستيقظْ تجدْني** في الحجرة.

– أنَّى **تجلسْ أجلسْ**.

- أينما **تكن يدركْك** الموت.

- حيثما **أكنْ أراقب** الله.

أيَّ كتاب **تقرأْ يفدْك**.

والفعلان اللذان تجزمهما أدوات الشرط يسمى أولهما فعل الشرط، ويسمى الثاني جواب الشرط.

٣- جواب الطلب، وقد ذكرنا أنواع الطلب. فالفعل الذي يقع في جواب الطلب يجزم، نحو:

- (اتقوا الله وقولوا قولا سديدا **يصلحْ** لكم أعمالكم).

- "اتق الله **تجدْه** تجاهك".

- ليتك تزورني **أحدِّثْك**.

فالأفعال: يصلح، وتجد، وأحدِّث، واقعة في جواب الطلب، "يصلح وتجد" واقعان في جواب الأمر (اتقوا الله، اتق الله)، و"أحدِّث" واقع في جواب التمني.

تمرين

س١ استخرج الأفعال المضارعة المنصوبة والمجزومة، وبين ناصبها وجازمها:

- (**لينفقْ** ذو سعة من سعته).
- (قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين).
- (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم).
- (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا).
- (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم).
- (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله).
- (أيحسب أن يقدر عليه أحد).
- أيَّ يوم سررتَني بوصالٍ، لم ترعني ثلاثةً بصدود؟
- لا تحسب المجد تمرا أنت آكله، لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا
- حيثما يذكر اسم الله يكن وطني.
- من يصاحب حكيما ينتفع بصحبته.
- أطلت الشرح غير أن بعض الطلاب لما يفهم.
- أنصت لكي تستفيد.
- هل تزورني نتحدثْ ساعة؟
- ما نسيتك؛ فأذكرَك.

- شاور حكيما ولا تخالفه.
- متى أضع العمامة تعرفْني.

س٢ أعرب ما فوق الخط:

- لا تأكل السمك وتشرب اللبن.
- ألا تنصت إلى الدرس؛ فتفهم!
- أتهمل وتأتي متأخرا؟
- (اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا).
- (لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا).
- (اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء).
-"لا تكن كلاًّ؛ فتزداد ذلاًّ".
- ليت الكواكب تدنو لي؛ فأنظمها عقود مدح، فما أرضى لكم كلمي
- (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا).

رابعا– المجرورات

المجرورات في العربية قليلة، وقد تقدم أن الجر خاص بالأسماء، وأن الأفعال لا تجر. والمجرورات هي:

١– المجرور بحرف الجر، وحروف الجر هي: من، إلى، عن، على، الباء، اللام، في، الكاف، حتى، واو القسم، تاء القسم، ربَّ، مذ، منذ.

٢– المجرور بالإضافة: والإضافة هي نسبة شيء إلى شيء ، نحو: –

– باب الحجرة واسع.

– طالب العلم مجدٌّ.

فـ"باب" منسوب إلى الحجرة، و"طالب" منسوب إلى العلم. وتسمى الكلمة الأولى (باب، وطالب)، مضافا، والكلمة التي تليها (الحجرة، والعلم) مضافا إليه.

والمضاف يعرب على حسب موقعه في الجملة، أما المضاف إليه فيكون مجرورا بالإضافة. فإذا قيل مثلا: فتحت باب الحجرة، كان "باب" مفعولا به منصوبا، وهو مضاف، و"الحجرة" مضاف إليه مجرور. وإذا قيل: مررت بطالب العلم، كان "طالب" اسما مجرورا بالباء، وهو مضاف، و"العلم" مضاف إليه مجرور بالإضافة.

التوابع

وهي التي تتبع ماقبلها في الإعراب، وليس لها إعراب مستقل عنه. وهي أربعة:

١- التوكيد: وهو نوعان:

أ- توكيد لفظي، وهو: إعادة اللفظ مرتين أو ثلاثا، بقصد التوثيق والتقرير، نحو:

- (كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا).
- قمْ قمْ.

ب- توكيد معنوي: ويكون بهذه الألفاظ: نفس، وعين، وكلّ، وكِلا، وكِلتا، وجميع، وعامة، وأجمع، وجمعاء، وأجمعون، وجُمَع. و"أجمعون" جَمْع "أجمع"، و"جُمَع" جمع "جَمْعاء". نحو:

- جاء الرجلُ نفسُه.
- شُذِّبتِ الشجرتان كلتاهما.
- رجع المسافرون عامَّتُهم.

(فسجد الملائكة كلُّهم أجمعون).

- قرأت القصةَ كلَّها جمعاء.
- أُعجبت بالكتاب كلِّه أجمعَ.
- نجحت الطالباتُ كلُّهن جُمَعُ.

٢- النعت، وهو الصفة، وهو كلمة تبين صفة في اسم قبلها، نحو:

- فاز الطالبُ المجدُّ.

- اشتريت الكتاب الجديدَ.

- مررت على الدارِ القديمةِ.

٣- العطف: وأشهر حروفه: الواو، والفاء، وثم، وأو، ولا. نحو:

- تذاكر زيد وخالدٌ العلم.

- دخل عمرو فخالدٌ.

- كتبت رسالةً ثم مقالةً.

- دخل زيد أو أخوه.

- استيقظ محمد لا خالدٌ.

وتدل الواو على مطلق الجمع، أي اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الفعل من غير ترتيب، فإذا قيل: جاء زيد وعمرو، فإنما المراد أن المجيء كان منهما، من غير نظر إلى الترتيب. وتدل الفاء على الترتيب مع التعقيب، والمراد بالتعقيب عدم وجود مدة بين المتعاطفين. وتدل "ثم" على الترتيب مع التراخي، والمراد بالتراخي الفسحة الزمنية بين المتعاطفين. وتدل "أو" على أحد الشيئين. أما "لا"، فتدل على النفي.

٤- البدل: وهو التابع المقصود بالحكم، فإذا قيل -مثلا-: رأيت زيدا أخاك، فإنما المراد: رأيت أخاك، فـ"أخاك" بدل من زيد. وله أنواع، أهمها:

- بدل الكل، ومعناه أن لفظ البدل يساوي في معناه لفظ المبدل منه، نحو: (اهدنا الصراط المستقيم صراطَ الذين أنعمت عليهم). فـ"صراط الذين أنعمت عليهم" هو "الصراط المستقيم". وكذلك: سلمت على عمرو صاحبِك، فـ"صاحبك" هو "عمرو".

- بدل البعض، وهو الذي يكون فيه البدل جزءا من المبدل منه، نحو: قرأت الكتاب نصفَه، فـ"نصف" بعض من الكتاب.

- بدل الاشتمال، ومعناه أن البدل لا يكون عين المبدل منه، ولا بعضه، وإنما يكون معنى يشتمل عليه، فالترتيل، والتغريد، في:

- أعجبني القارئ ترتيلُه.

- سمعت القُمْريَّ تغريدَه.

ليسا بعضا من القارئ والقمري، ولكنهما معنيان يشتمل عليهما القارئ والقمري.

فهذه الأربعة تسمَّى التوابع؛ لأنها تتبع ما قبلها في إعرابه، فـ"كلُّه" -مثلا- في قولنا (أعجبت بالكتاب كلِّه) يعرب توكيدا معنويا مجرورا بالكسرة الظاهرة على آخره؛ لأن المؤَكَّد، وهو "الكتاب"، مجرور بالباء.

والمجـدُّ في قولنـا: "فـاز الطالـب المجـدُّ" صـفة مرفوعـة؛ لأن الموصـوف "الطالب" فاعل مرفوع. و"مقالة" في: "كتبت رسالة ثم مقالة" معطوف منصوب؛ لأن المعطوف عليه (رسالة) مفعول به منصوب. و"صراط" في الآية السابقة منصوب؛ لأنه بدل من منصوب وهو "الصراط"، وهو مفعول به.

تمرين

س١ بين التابع ونوعه، فيما يأتي:

- لاطفتُ الطفلَ اليتيمَ.
- قياما قياما أيها الطلاب.
- كتبت المقالة كلها.
- (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه).
-(وإن جهنم لموعدهم أجمعين).
- دخل عمرو فخالد.
- (لا يستوي الخبيث والطيب).
- (يوقَد من شجرة مباركة زيتونة).
- بُنيَّ، إن البرَّ شيءٌ هين: وجه طليق، وكلام ليِّنُ
-فصبرا في مجال الموت صبرا؛ فما نيل الخلود بمستطاع
- الخيل والليل والبيداء تعرفني والضرب والطعن والقرطاس والقلمُ
- أعجبني الخطيب إلقاؤه.
- بيضاءُ باكرَها النقيم فصاغها بلباقة، فأدقها وأجلَّها

مَنَعَت تحيتَها، فقلتُ لصاحبي: ما كان أكثرها لنا وأقلَّها

- (ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما).
- (فيه آيات بينات مقام إبراهيم).
- (لبثنا يوما أو بعض يوم).
- بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والرِّيَب

- قرأت الكتاب عينه.

س٢ أعرب ما فوق الخط:

- قاطعتُ البضاعة المصنوعةَ في بلادِ الأعداءِ.
- سلمت على الطالبين كليهما.
- سأعتمر هذا العام وأعتمر العام الذي بعده.
- قرْبَ بيتنا شجرةٌ طويلة.
- (تالله إنك لفي ضلالك القديم).
- (والعصر إن الإنسان لفي خسر).
- (لا أقسم بيوم القيامة).
- "من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه".

علامات الإعراب

علمنا أن علامات الإعراب الأصلية أربع: الفتحة، والضمة، والكسرة، والسكون، وأن أكثر الكلم العربي يتحرك آخره بواحدة من هذه. وبقي أن نقول إن علامات الإعراب تكون ظاهرة، أي ملفوظا بها، كما قد رأينا فيما سلف من الأبواب، وتكون مقدرة، أي لا تنطق لأسباب صوتية. ومع العلامات الأربع علامات فرعية، تَرِد في قليل من الكلمات، وهي فيها تقوم مقام العلامات الأصلية. ويلزم بعضُ الكلم حركة واحدة، لا تتغير بتغير العوامل الإعرابية الداخلة عليه. وسندرس هذه الموضوعات؛ لنعرف الكلمات التي تقدَّر فيها علامات الإعراب، والكلمات التي تقوم فيها علامات الإعراب الفرعية مقام العلامات الأصلية، والكلمات التي تلزم حركة واحدة.

أولا– الكلمات التي تقدر فيها علامات الإعراب

والكلمات التي تقدر فيها علامات الإعراب هي بعض الكلمات المعتلة الآخر، والكلمات التي تضاف إلى ياء المتكلم.

١– **الكلمات المعتلة الآخر**: والكلمات المعتلة الآخر هي التي تنتهي بواحد من حروف العلة الثلاثة (الألف، والواو، والياء)، نحو: مصطفى، القاضي، يسعى، يدعو، يمشي. فهذه الأسماء والأفعال لا يظهر عليها

بعض علامات الإعراب؛ إما لأن ظهورها عليه غير ممكن، كالأسماء والأفعال التي تنتهي بألف؛ لأن الألف لا تقبل الحركات؛ لأنها فتحة طويلة، والحركات لا تقبل الحركات، وإما لأن في تحريكها ببعض الحركات ثقلا، وإن كان ممكنا، كالكلمات التي تنتهي بالياء والواو.

وتقسم الأسماء التي تنتهي بحرف علة قسمين:

أ- أسماء مقصورة: وهي التي تنتهي بألف، مثل:

- (ولا تتبع الهوى).
- (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا).
- (وهل أتاك حديث موسى).

فـ "الهوى"، و"الدنيا"، و"موسى" كلمات تنتهي بألف، سواء أكانت ألفا مقصورة (الهوى)، أم كانت ألفا قائمة (الدنيا)، وتسمى كلها أسماء مقصورة، وعلامات الإعراب تقدر عليها منع من ظهورها التعذر. ومعنى التعذر أن الحركات يتعذر ظهورها على الألف التي في آخر هذه الكلمات، أي لا يمكن. فـ"الهوى" -مثلا- مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر، والدنيا صفة للحياة منصوبة بفتحة مقدرة منع من ظهورها التعذر، و"موسى" مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر.

ومعنى أن الحركة مقدرة أنها لا يُلْفَظ بها لسبب من الأسباب، ولكنها

مقدرة في عقل المتكلم.

ب- أسماء منقوصة: وهي التي تنتهي بياء ساكنة مكسور ما قبلها، مثل: الداعي، القاضي، الراعي. وتقدر الضمة والكسرة على الياء في هذا النوع من الأسماء، منع من ظهورهما الثقل، وتظهر عليها الفتحة؛ لأنها خفيفة. مثل:

- دعا الداعي إلى الخير.
- "كالراعي يرعى حول الحمى".
- (ربنا إننا سمعنا مناديا).

فـ"الداعي" فاعل مرفوع بضمة مقدرة، منع من ظهورها الثقل، و"الراعي" اسم مجرور بالكاف، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء، منع من ظهورها الثقل. و"مناديا" مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

ولا يخفى ما بين التعذر والثقل: التعذر يعني عدم إمكان نطق الحركة، أما الثقل، فيعني إمكان نطق الحركة، لكنه ثقيل. فيمكن أن يقال: الداعيُ، والراعيِ، بيد أن ذلك ثقيل، واللسان كثيرا ما يميل إلى الخفة. ولما كان ظهور الفتحة على الياء خفيفا، وليس فيه ما في ظهور الضمة والكسرة عليها من الثقل ظهرت الفتحة على الياء في "مناديا".

الأفعال المعتلة الآخر

أ- المعتلة بالألف: والأفعال المعتلة الآخر بالألف تقدَّر عليها الفتحة والضمة، منع من ظهورهما التعذر، فهي كالأسماء المقصورة؛ لأنها تنتهي مثلها بالألف، نحو:

-(فإذا هي حية تسعى).

- (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم).

ف"تسعى" فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الألف، منع من ظهورها التعذر، و"ترضى" فعل مضارع منصوب بفتحة مقدرة، منع من ظهورها التعذر.

ب- الأفعال المعتلة بالواو والياء: أما الأفعال التي تنتهي بواو أو ياء، فتقدر عليها الضمة، منع من ظهرها الثقل، وتظهر عليها الفتحة، مثل:

- (والله يدعو إلى دار السلام).

- (قال أنا أحيي وأميت).

- (لن ندعوَ من دونه إلها).

- (ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيَهم الله خيرا).

ف"يدعو"، و"أحيي"، فعلان معتلان بالواو والياء، وهما مرفوعان بضمة مقدرة على الواو ووالياء، منع من ظهورها الثقل، أما "ندعوَ"، و"يؤتيَ"، فمنصوبان وعلامة نصبهما الفتحة الظاهرة على الواو والياء. ولا يخفى

أن ظهور الفتحة عليهما خفيف، ولذلك فُتِحا، بخلاف الضمة على الواو والياء، فظهورها عليهما ثقيل، ولثقله قُدِّرت عليهما.

ج- جزم الفعل المعتل الآخر: وإذا جُزِم الفعل المعتل الآخر، حُذِف منه حرف العلة، مثل:

- (لئن لم تنتهِ لأرجمنَّك).

- (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره). - (فلا تدْعُ مع الله إلها آخر).

فالأفعال: تنته، ويرَ، وتدْع، أصلها قبل دخول أدوات الجزم: تنتهي، يرى، تدعو، فلما دخلت أدوات الجزم، حذفت حروف العلة الثلاثة. ويقال في إعرابها إنها أفعال مجزومة، وعلامة جزمها حذف حرف العلة.

الخلاصة

الاسم المعتل الآخر نوعان:

١- مقصور: وهو الذي ينتهي بألف مفتوح ما قبلها، وتقدَّر عليه الحركات كلها، مَنعَ من ظهورها التعذر.

٢- منقوص: وهو الذي ينتهي بياء مكسورٍ ما قبلها، وتقدَّر عليه الضمة والكسرة، منع من ظهورهما الثقل، وتظهر عليه الفتحة.

أما الفعل، فنوعان:

١- فعل ينتهي بألف: وتقدر عليه الفتحة والضمة منع من ظهورهما

التعذر.

٢- فعل ينتهي بواو أو ياء: وتقدر عليه الضمة منع من ظهورها الثقل، وتظهر عليه الفتحة.

ويحذف حرف العلة من آخر النوعين في الجزم.

المضاف إلى ياء المتكلم

إذا أضيف الاسم إلى ياء المتكلم، دون سائر الضمائر، تنازعَه أمران: الحركة التي يقتضيها الموقع الإعرابي، والكسرة التي تناسب ياء المتكلم. فالأصل إذا قيل: جاء الأستاذُ، أن تظهر الضمة على الذال؛ لأن "الأستاذ" فاعل، فإذا أضيف إلى ياء المتكلم، قيل: جاء أستاذي، و"أستاذي" فاعل أيضا، مثل "الأستاذ"، والفاعلية تقتضي أن تضم الذال، كما ضُمَّت في "جاء الأستاذ"، لكن الياء تناسبها الكسرة، ولا تناسبها الضمة. وحينئذ نقول إن الذال تنازعت عليها الفاعلية، وتقتضي الضم، والتناسبُ الصوتي، ويقتضي كسْرَ ما قبل الياء. فيُغلَّب ما يقتضي التناسب الصوتي، فتكسر الذال. ويقال حينئذ إن الضمة مقدرة على الذال منع من ظهورها اشتغال المحل (وهو الذال) بحركة المناسبة، وهي الكسرة. وكذلك يقال في سائر الأحوال: إن الحركات الثلاث (الفتحة، والضمة، والكسرة) مقدرة على آخر الكلمة المضافة إلى ياء

المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، نحو:

- (**ربِّي** يعلم القول في السماء والأرض).
- (إن **ربِّي** لطيفٌ لما يشاء).
- (إنِّي ذاهب إلى **ربِّي** سيهدين).

يكسر "رَبّ" في الحالات الثلاث، مع أنه في المثال الأول مبتدأ، وفي الثاني اسم "إن"، وفي الثالث مجرور بـ"إلى". وسبب ذلك أن الياء لا يكون ما قبلها إلا مكسورا، فالباء التي هي آخر "ربّ" اشتغلت عن حركات الإعراب الثلاث بالكسرة التي تناسب الياء؛ فتقدَّر عليها، منع من ظهورها اشتغالها (الباء) بحركة المناسبة.

تمرين

س١ (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلا الرحمن على العرش استوى له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى).

- (واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى إذهب إلى فرعون إنه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسِّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري).

أ- استخرج من الآيات الأسماء والأفعال المعتلة الآخر، وبين علامة إعرابها.

ب- استخرج الأسماء المضافة إلى ياء المتكلم، واذكر علامة إعرابها.

س٢ بين نوع الأسماء والأفعال التي فوق الخط، والظاهر والمقدر من

علامات إعرابها، وسبب ذلك:

-قال ابن زيدون:

أضحى التنائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنَّا، فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم، ولا جفَّت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرُنا يقضي علينا الأسى، لولا تأسينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى، فدعوا بأن نغص، فقال الدهر آمينا

- قال حافظ إبراهيم في مدح عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-:

حسب القوافي وحسبي حين ألقيها أني إلى ساحة الفاروق أهديها
لاهمَّ هبْ لي بيانًا أستعينُ به على قضاء حقوقٍ نام قاضيها
قد نازعتنيَ نفسي أن أوَفيَها و ليس في طَوق مثلي أن يوفيها
فمُرِ سرِيَّ المعاني أن يواتيني فيها فإني ضعيف الحال واهيها
مولى المغيرة لا جادتْك غاديةٌ من رحمة الله ما جادت غواديها
مزَّقت منه أديما حشوُه همَمٌ في ذمَّة الله عاليها وماضيها
فأصبحت دولة الإسلام حائرة تشكو الوجيعة لما مات آسيها
حتى إذا ما تولاَّها مهدِّمُها صاح الزوال بها فاندكَّ عاليها
كم ظلَّلتها وحاطتها بأجنحة عن أعين الدهر قد كانت تواريها

- قال أبو منصور علي بن الحسن المعروف بِصُرَّ دُرَّ:

نُسائلُ عن ثُماماتٍ بِحُزوَى وبانُ الرملِ يعلمُ ما عَنينا
فقد كُشف الغطاءُ، فما نبالي أصرَّحنا بذكركِ أم كَنَيْنا

ولو أني أنادي: يا سُلَيْمَى، لقالوا: ما أردتَ سوى لُبَيْنَى
ألا لله طَيفٌ منكِ يَسقِي بِكاساتِ الكَرَى كَذبًا ومَيْنَا
مطيِّتُه طوالَ الليل جَفني فكيفَ شكا إليكِ وَجًى وأيْنَا؟!
فأمسينا كأنَّا ما افترقْنا وأصبحْنا كأنَّا ما التقيْنا

علامات الإعراب الفرعية

ونعني بعلامات الإعراب الفرعية علامات، تقوم مقام العلامات الأصلية في بعض الكلمات، مثل:

- نجح المجدُّ، نجح المجدان، نجح المجدون.
- رأيت المجدَّ، رأيت المجدَّينِ، رأيت المجدينَ.
- سلَّمت على المجدِّ، سلمت على المجدَّينِ، سلمت على المجدينَ.

فإعراب "المجد"، ومثناه (المجدَّينِ)، وجمعه (المجدِّينَ) في الجمل الثلاث الأولى واحد، هو الرفع، لأن كلا منها فاعل، غير أن آخر "المجد" ظهرت عليه ضمة، وظهرت الكسرة على المثنى (المجدَّانِ) مسبوقة بالألف، وظهرت الفتحة على الجمع مسبوقة بالواو (المجدونَ). و"المجد"، ومثناه، وجمعه في الجمل الثلاث التي تليها منصوبة؛ لأن كلا منها مفعول به، غير أن "المجدَّ" ظهرت على آخره فتحة، وكسرة على آخر المثنى مسبوقة بياء (المجدينِ)، وفتحة على آخر الجمع مسبوقة بياء (المجدينَ). وهي في الجمل الثلاث الأخيرة مجرورة؛ لأنها مسبوقة بالباء، لكن المفرد ظهرت على آخره كسرة، وعلى آخر المثنى كسرة مسبوقة بياء، وعلى آخر الجمع فتحة مسبوقة بياء. فالعامل الإعرابي فيها واحد، وإنما اختلفت في علامة الإعراب، فقط. وإذا كان الإعراب -كما قد علمنا- تغيرا، يلحق آخر الكلمة، بتغير العوامل الداخلة عليها، فإن التغير الذي

ظهر على آخر المفرد هو الفتحة والكسرة والضمة، أما التغير الذي ظهر على آخر المثنى فهو الألف والياء، والتغير الذي ظهر على آخر الجمع هو الواو والياء، ولم يتغير شيء آخر، فالألف والياء في المثنى هما اللذان يتغيران، والواو والياء في جمع المؤنث السالم هما اللذان يتغيران، وتغيرهما هو الإعراب، والحرف الذي يتغير هو علامة الإعراب، كما أن الفتحة والضمة والكسرة علامات إعراب المفرد.

ويستنتج من هذا أن الألف في المثنى والواو في الجمع تقابل الضمة في المفرد، ولما كانت الضمة هي علامة الرفع الأصلية في المفرد، كانت الألف والواو هما علامتي الرفع الفرعيتين في المثنى والجمع. وأن الياء في المثنى وجمع المذكر السالم تقابل الفتحة في المفرد، فهي إذن علامة فرعية. وأن الياء فيهما تقابل الكسرة في المفرد، فهي علامة جر فرعية.

وإنما سميت هذه حركاتٍ فرعية لأنها خاصة بكلمات قليلة في كلام العرب، أما الفتحة والضمة والكسرة، والسكون، فهي أكثر ما يستعمل في كلام العرب، وبناء على ذلك جُعِل الكثير أصلا، والقليل فرعا.

وسندرس –بعد أن اتضح هذا– العلامات الفرعية، والعلامات الأصلية التي تنوب عنها، وما تستعمل فيه من كلام العرب.

أولا– علامات الرفع

الأصل في الكلمة العربية، إذا كانت مرفوعة، أن ينتهي آخرها بضمة، نحو:

- (آمن **الرسولُ**).

- (**يعلمُ** خائنة الأعين).

فـ"**الرسولُ**" مرفوع؛ لأنه فاعل، وعلامة رفعه الضمة التي على اللام، و"**يعلمُ**" مرفوع؛ لأنه فعل مضارع، لم يسبقه ناصب ولا جازم، وعلامة رفعه الضمة التي على الميم. فالضمة –إذن– هي علامة الرفع الأصلية. وتقوم مقامها في بعض الكلمات علامات فرعية، هي:

١– الألف في المثنى، نحو: (قال **رجلان**). فالألف في "رجلان" قائمة مقام الضمة في "رجلٌ" من قولنا: قال رجلٌ، فكلاهما فاعل، وكلاهما مرفوع، لكن علامة رفع "رجل" الضمة، وعلامة رفع "رجلان" الألف.

٢– الواو في الأسماء الخمسة، وجمع المذكر السالم، نحو:

- (قال **أبو**هم إني لأجد ريح يوسف).

- (قد أفلح **المؤمنون**).

- ثبوت النون في الأفعال الخمسة، نحو: (**يعلمون** ظاهرا من الحياة الدنيا). فالنون التي في آخر "يعلمون" هي علامة رفعه، وهي قائمة مقام الضمة في الفعل "يعلمُ" من قول الله – تعالى –: (يعلمُ خائنة الأعين)

-مثلا-. وإذا كان الفعل غيرَ مرفوع حذفت منه هذه النون، كما سوف نرى.

ثانيا- علامات النصب

وعلامة النصب الأصلية هي الفتحة، نحو:

- (واسأل **القريةَ** التي كنا فيها).

- (لن **ينالَ** اللهَ لحومُها ولا دماؤها).

ويقوم مقام الفتحة في بعض الكلمات علامات فرعية، هي:

١- الألف في الأسماء الخمسة، نحو: (إن **أبا**نا لفي ضلال مبين).

٢- الياء في المثنى، وجمع المذكر السالم، نحو:

- (فوجد فيها **رجلين** يقتتلان).

- (إن **المتقينَ** في جنات ونهر).

٣- الكسرة في جمع المؤنث السالم، نحو: (إن **الحسناتِ** يذهبن **السيئاتِ**). فالكسرة في "الحسنات" قائمة مقام الفتحة في: أتبع السيئةَ الحسنةَ تمحها.

٤- حذف النون في الأفعال الخمسة، نحو: (لن **تنالوا** البر حتى **تنفقوا** مما تحبون).

ثالثا– علامات الجر

وعلامة الجر الأصلية الكسرة، نحو: (وكان في **المدينةِ** تسعة **رهطٍ**).

وتنوب عنها:

١– الياء في الأسماء الخمسة، والمثنى، وجمع المذكر السالم، نحو:

– (ارجعوا إلى **أبيكم**).

– (و**بالوالدينِ** إحسانا).

– (قل **للمؤمنينَ** يغضُّوا من أبصارهم).

٢– الفتحة في الاسم الممنوع من الصرف، نحو: (يعملون له ما يشاء من **محاريبَ** و**تماثيلَ**). فالفتحة في "محاريب وتماثيل" قائمة مقام الكسرة في "محرابٍ وتمثالٍ"، ولذلك ورد في القرآن: (فخرج على قومه من المحرابِ)، فعلامة جر "المحراب" الكسرة الظاهرة، أما علامة جر "محاريب وتماثيل"، فالفتحة، فهي قائمة مقام الكسرة.

رابعا– علامات الجزم

وعلامته الأصلية السكون، نحو: (لم **يلدْ** ولم **يولدْ** ولم **يكنْ** له كفوًا أحد). وتنوب عنه علامات فرعية، هي:

١– حذف النون في الأفعال الخمسة، نحو: (ولا **تقتلوا** أنفسكم).

٢– حذف حرف العلة في الأفعال المعتلة الآخر، نحو: (كلا لما يقْض

ما أمره)، (فلا **تدْعُ** مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين). فـ"يقض"، و"تدعُ"، كانا قبل دخول أداتي الجزم (لما، ولا): يقضي، وتدعو، فلما دخلتا حذفت الياء من الأول، والواو من الثاني، وحذْفهما هو علامة الجزم.

الخلاصة

يستخلص من هذا أن علامات الإعراب الفرعية خاصة بكلمات قليلة في العربية، أما العلامات الأصلية، فهي الكثيرة، ولكثرتها سميتْ أصلية. والكلمات القليلة التي تكون العلامات فيها فرعية هي:

١- الأسماء الخمسة: وهي أبوك وأخوك، وحموك، وفوك، وذو. وهي ترفع بالواو، وتنصب بالألف، وتجر بالياء.

٢- المثنى: وهو كل كلمة دلت على اثنين بزيادة ألف ونون، أو ياء ونون، تغني عن العطف، ويرفع بالألف، وينصب ويجر بالياء. ويلحق بالمثنى: اثنان، واثنتان، وكلا وكلتا، إذا أضيفتا إلى ضمير، نحو: (إما يبلغنَّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما)، رأيت الطالبين كليهما. فإن أضيفتا إلى اسم ظاهر أعربتا إعراب الاسم المقصور، نحو: (كلتا الجنتين آتت أكلها)، كلا الرجلين عالم.

٣- جمع المذكر السالم: وهو الجمع الذي لا تتغير صورته عن صورة

مفرده في الحركات وترتيب الحروف. ويرفع بالواو، وينصب ويجر بالياء. وتلحق به في الإعراب كلمات، أشهرها: أولو، بمعنى أصحاب، نحو: (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض)، (فاتقوا الله يا أولي الألباب)، وعالَمون، نحو (الحمد لله رب العالمين)، وعِلِّيون، وهو موضع في الجنة، نحو: (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليُّون)، وأرَضون، جمع أرْض، نحو: "من اغتصب شبرا من أرض طُوِّقه من سبع أرَضين"، وسنون، نحو: (قال تزرعون سبع سنين دأَبًا)، مضت سنون طوال على تخرجي، وألفاظ العقود، وهي مضاعفات العشرة، من عشرين إلى تسعين، نحو: جاء عشرون طالبا، سلمت على عشرين طالبا.

٤- جمع المؤنث السالم: وهو ما انتهى بألف وتاء زائدتين، وسلمت فيه صورة المفرد من التغير، وينصب بالكسرة بدلا من الفتحة، أما في الرفع، فيرفع بالضمة، وفي الجر، فيجر بالكسرة، على الأصل، وإنما يخالف الأصل في النصب وحده. ويُلحَق به: أولات، أي صاحبات، نحو: (وإن كنَّ أولاتِ حمل فأنفقوا عليهن)، وما سُمِّيَ به من جمع المؤنث السالم، كعرفات، وأذْرِعات، اسمَي موضعين، نحو: رأيت عرفاتٍ.

٥- الاسم الممنوع من الصرف: ويجر بالفتحة بدلا من الكسرة، أما في الرفع، فيرفع بالضمة، وفي النصب، فينصب بالفتحة، وإنما يخالف الأصل في الجر وحده.

٦- الأفعال الخمسة: وهي كل فعل مضارع اتصلت به ألف الاثنين، أو واو الجماعة، أو ياء المخاطبة، نحو: يعلمان، وتعلمان، ويعلمون، وتعلمون، وتعلمين. وتُرْفَع بثبوت النون، وتُنَصب وتُجْزَم بحذفها.

٧- الأفعال المعتلة الآخر، وتجزم بحذف حرف العلة، أما في النصب والرفع، فقد علمنا حكمها.

تمرين

س١ : بين نوع الكلمة التي فوق الخط، وعلامة إعرابها: (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحلون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذن لخاسرون فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمره هذا وهم لا يشعرون. وجاؤوا أباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا إذا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف

عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كان صادقين).

(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لآماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون). (يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليه لتعرضوا فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعملوا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليك حكيم).

س٢ أعرب ما فوق الخط: (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فإنها محرمة عليهم

أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قرَّبا قربانا فتقُبِّل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنَّك قال إنما يتقبل الله من المتقين). (ولا تخزنا يوم القيامة).

- (لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون).
- لا تعص الله؛ فيهلكك.
- (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون).
- (لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا).

-(ولا تسبُّوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدْوًا بغير علم). -

- (يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم).
- (فيُقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما).

-ماذا تقولين فيمن شفَّه سَهَرٌ مِنْ جَهد حبِّك، حتى صار حيرانا؟

(فمن يعملْ مثقال ذرة خيرا يره ومن يعملْ مثقال ذرة شرا يره)،

(ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام).

- (فلا تدعُ مع الله إلها آخر).
- (يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الواحد القهار).

الممنوع من الصرف

عرفنا أن من علامات الإعراب الفرعية الفتحة، وأنها تنوب عن الكسرة في الممنوع من الصرف، فما الممنوع من الصرف؟ ومتى يمنع من الصرف؟

الممنوع من الصرف: اسم لا ينوَّن، لعلة تمنعه من ذلك. والعلة إما أن تكون واحدة، وإما أن تكون اثنتين. فالأسماء التي تُمنع من الصرف لعلة واحدة هي:

١- الأسماء التي تنتهي بألف تأنيث مقصورة أو ممدودة. وألف التأنيث هي: كل ألف زائدة في الاسم، قبلها ثلاثة أحرف أصلية فصاعدا. وليس معنى تسميتها ألف تأنيث أن الاسم الذي هي فيه مؤنث، فقد يكون مؤنثا، كسلوى، ونجوى، وليلى، ونجلاء، ولمياء، وظمياء، وقد يكون مذكرا، كعُلماء، وشعراء، وأطبَّاء، وكُسالى، وصرْعى.

وألف التأنيث المقصورة هي التي لا تكون بعدها همزة، كليلى، وقهقرى، وشَرَوْرَى (اسم بلدة)، وحُبارى، وأُسارَى، أما الممدودة فهي التي تكون بعدها همزة، كصحراء، وبيضاء، وشُعَرَاء، وجَلُولاء (اسم بلدة)، وأطبَّاء.

وكل اسم فيه ألف تأنيث مقصورة أو ممدودة يمنع من الصرف، فيقال:

- أعجبت بشعراءَ في المدينة المنورة.

– هذه تعلاَّت كسالَى، يشنؤون العمل.

فإذا لم تكن الألف زائدة مسبوقة بثلاثة أحرف أصلية فصاعدا، فلا تسمى ألفَ تأنيث، كألف: فتى، وهواء، ومصطفى، ومستشفى. فألف "فتى" قبلها حرفان فقط، فليست بزائدة، فليست ألف تأنيث، والاسم الذي هي فيه ليس ممنوعا من الصرف، ولذلك ينون، فيقال: فتًى، ويجر بالكسرة المقدرة؛ لأنه اسم مقصور. وكذلك ألف "هواء"، فهي مسبوقة بحرفين فقط، فليست بزائدة، وهو غير ممنوع من الصرف، ولذلك يُجَرُّ بالكسرة ويُنوَّن، فيقال: جلسنا في هواءٍ طلق. وألف "مصطفى" قبلها أربعة أحرف، ولكن اثنين منها زائدان، هما الميم والطاء، والألف فيها ليست بزائدة، وإنما هي من أصل الكلمة؛ لأن مصطفى مشتق من (صفا). وألف مستشفى قبلها خمسة أحرف، ولكن الألف غير زائدة؛ لأنها مشتقة من (شفى)، وثلاثة من الحروف التي قبلها زائدة، هي الميم، والسين، والتاء، والأصلي منها هو الشين والفاء وحدهما. ولذلك ينون ويجر بكسرة مقدرة على الألف، فيقال: ذهبت إلى مستشفًى.

فهذه الكلمات ليست ممنوعة من الصرف؛ لأن ألفها ليست ألف تأنيث.

٢– الجموع التي تكون على صيغة منتهى الجموع: وهي كل جمع تكسير، بعد ألفه حرفان أو ثلاثة، نحو:

- صليت في مساجدَ كثيرة.
- نشرت مقالاتي في صحائفَ عدَّة.
- (يعملون له ما يشاء من **محاريبَ وتماثيلَ**).

فـ"مساجد، وصحائف" جمعا تكسير، وبعد ألفهما حرفان، هما: الجيم والدال، والهمزة والفاء. و"محاريب وتماثيل" جمعا تكسير، وبعد ألفهما ثلاثة أحرف، هي: الراء والياء والباء، والثاء والياء واللام.

وهاتان العلتان (ألف التأنيث بنوعيها، وصيغة منتهى الجموع) تمنعان من الصرف وحدهما، فكل اسم كانت ألفه ألف تأنيث، أو كان على صيغة منتهى الجموع مُنع من الصرف.

أما العلل الأخرى التي سنذكرها، فلا بد أن تجتمع منها اثنتان في الاسم، حتى يُمْنَع من الصرف، فإن كانت فيه علة واحدة فقط، لم يُمنع. ويجب أن تكون إحدى هذه العلل الوصفية أو العلمية، ومعها علة أخرى، على هذا النحو:

أولا- العلمية وما يكون معها من العلل

١- العلمية والتأنيث، نحو: أقبلتُ على سعادَ وفاطمةَ، أحدِّثهما. فـ"سعاد وفاطمة" اسمان ممنوعان من الصرف لعلتين: العلمية والتأنيث. لكنْ "زهرة"، و"حديقة" في هذه العبارة: "قطفت زهرةً من حديقة في المنزل"، ليستا ممنوعتين من الصرف، لأن فيهما علة واحدة فقط، هي

التأنيث، والتأنيث وحده لا يمنع من الصرف. و"زيد" علَم، ولكنه ليس ممنوعا من الصرف؛ لأن فيه علة واحدة هي العلمية، وليس بمؤنث.

وإذا كان العلم المؤنث ثلاثيا ساكن الوسط جاز صرفه ومنعه من الصرف، نحو: أُعجبت بهندٍ، أو بهندَ، ومررت بدعْدٍ، أو بدعْدَ.

٢- العلمية والتركيب المزجي: ومعنى التركيب المزجي أن يركَّب الاسم العلم من كلمتين تمزجان، فتصيران واحدة، يُسمَّى بها علماً لمكان أو إنسان، أو غيرهما، نحو:

- قرأت شعر عمرو بن معديكربَ.
- سافرت إلى حضرموتَ.
- قضيت أياما في بعلبكَّ.

فـ"معديكرب، وحضرموت، وبعلبك"، أعلام، معديكرب علم لرجل، وحضرموت وبعلبك علمان لبلدين. وكل واحد من هذه الأسماء مؤلف من كلمتين مزجتا معا، فتكونت منهما كلمة واحدة، فمعديكرب أصلها: معدي وكرب، وحضرموت أصلها: حضر وموت، وبعلبك أصلها: بعل وبك.

لكن "لاسلكي"، وما شاكلها، ليست بممنوعة من الصرف، مع أنها مركبة تركيبا مزجيا من "لا" و "سلكي"؛ لأنها ليست بعلم.

٣- العلمية والعجمة: والمراد بالعجمة أن يكون الاسم في الأصل أعجميا، نحو:

- (وإذ بوَّأنا لإبراهيمَ مكان البيت).

- (واتبعت ملة آبائي إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ).

وإذا كان العلم الأعجمي ثلاثيا ساكن الوسط صُرِف، نحو: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده)، (ولوطًا آتيناه حكما وعلما).

٤- العلمية ووزن الفعل: أي أن يكون وزن الاسم العلَم على وزن الفعْل، نحو:

- قرأت ديوان يزيدَ بن معاوية.

- مررت على أحمدَ جالسًا.

- سلمتُ على يَسْلمَ.

- ديار بني يعرُبَ الأولى هي اليمن.

فيزيد، وأحمد، ويسلم، ويعرب، أسماء أعلام، على وزن أفعال، بل هي في الأصل أفعال سمي بها أشخاص، فهي ممنوعة من الصرف، ولذلك كانت مجرورة بالفتحة.

٥- العلمية وزيادة الألف والنون، نحو: زرت قبر عثمانَ بالبقيع. رضي الله عن سلمانَ الفارسي. فـ"عثمان وسلمان" علَمان، في كل منهما ألف

ونون زائدتان، أي ليستا من أصل المادتين اللتين اشتُقَّ منها العلمان، فعثمان مشتق من "عثم"، وسلمان مشتق من "سلم"، فالألف والنون فيهما زائدتان.

٦- العلمية والعَدْل: ومعنى العدل أن يُعْدَل بالكلمة عن وزنها الأصلي إلى وزن آخر، أي أن يغير وزنها، نحو:

فُتحت القدس في عهد عمرَ بن الخطاب -رضي الله عنه-.

فـ"عمر" أصله عامر، ولكن عُدِل عن عامر إلى وزن آخر، هو عمر، فالكلمة ممنوعة من الصرف لهاتين العلتين.

ثانيا- الوصفية وما يكون معها من العلل

١- الوصفية وزيادة الألف والنون: أي أن يكون الاسم الممنوع من الصرف صفة على وزن "فَعْلان" التي مؤنثها على وزن فَعْلى، نحو:

- رثيتُ لظمآنَ فسقيته.

- أقبلت على سكرانَ أعِظُه.

فـ"ظمآن" على وزن فَعْلان، والمؤنث منه ظمأى، ومؤنث سكران سَكْرى. فإن لم يكن مؤنثه على "فعلى" لم يمنع من الصرف، مثل: مَصَّان (اللئيم)، فإن مؤنثه مَصَّانة، وعُريان، فإن مؤنثه عُريانة.

٢- الوصفية ووزن الفعل، نحو: أبيض، وأصفر. فيقال: أعجبت بزهرٍ أبيضَ، ركبت على فرسٍ أشهبَ.

ويشترط للصفة التي على هذا الوزن أن يكون مؤنثها على وزن فَعْلاء، فـ"أبيض وأصفر وأشهب" مؤنثها بيضاء، وصفراء، وشهباء. فإن لم يكن مؤنثه على وزن "فعلاء"، لم يمنع من الصرف، مثل: أرمل، فإن مؤنثه أرملة، فلا يمنع من الصرف.

٣- الوصفية والعدل: بأن يكون الاسم صفة على وزن فُعال، أو مَفْعَل، نحو: (جاعلِ الملائكة رسلاً أولي أجنحةٍ **مَثْنَى وثُلاثَ ورُباعَ**). يزاد في هذين الوزنين كلمة (**أُخَر**)، جمع "أخرى"، نحو: (فعِدَّة من أيام أُخَرَ). ومعنى العدل أن يُعدَل بالكلمة عن وزنها إلى وزن آخر، فـ"مَثْنى وثُلاث ورُباع" أصلها: اثنان، وثلاثة، وأربعة، ثم عُدِل عنها.

وإذا اتصل الممنوع من الصرف بـ"أل"، أو أُضيفَ، جُرَّ بالكسرة، نحو: (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في **المساجدِ**)، (وأْمُرْ قومَك يأخذوا **بأحسنِها**). فـ"المساجد" على صيغة منتهى الجموع، فالأصل أن تُمْنَع من الصرف، فلما اقترنت بـ"أل"، جُرَّت بالكسرة، و"أحسنِها" ممنوعة من الصرف للوصفية ووزن الفعل، فلما أُضيفت إلى الضمير جُرَّت بالكسرة.

تمرين

س١ بيِّن الممنوع من الصرف، وعلة منعه، فيما يأتي:

- (شهرُ رمضانَ الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس).
- لليلى بذات الجيش دارٌ، عرفتها وأخرى بذات البين آياتُها سَطْرُ
- (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع).
- (يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين).
- (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين).
- (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة).
- (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين).
- (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم).
- (قال إنه صرْح ممرَّد من قوارير).
- (قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين).
- يوسف أقدم من داود – عليهما لسلام –.
- "لا تُشدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجدَ".
- إن لسلمى عندنا ديوانا يُخْزِي فلانا وابنه فلانا

س٢ اشكل أواخر الكلمات التي فوق الخط، وبيِّن السبب.

- لأحمد عندي يدٌ.
- لتماضر اسم آخر، هو الخنساء.
- قضيت يوما في تَبالة، ثم ذهبت إلى بيشة ثم إلى نجران.
- (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح).

- قرأت لأدباء من أدباء المدينة
- (هدى وبشرى للمسلمين).
- ألا قل لهند: إِحْرَجي وتأثَّمي ولا تقتليني، لا يحلُّ لكمْ دمي
- بيض الصفائح، لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والرِّيَبِ
- ربَّ ورقاء هَتوفٍ في الضحى ذاتِ شَجْوٍ، صدَحتْ في فَنَنِ

ثالثا– ما يلزم حركة واحدة (المبني)

أما ما يلزم من حركة واحدة من الكلم العربي، فيسمَّى مبنيا. وهو الذي لا يتغير آخره بتغير العوامل الإعرابية الداخلة عليه، فهو بعكس المعْرَب، مثل:

١– (**هؤلاءِ** قومُنا اتخذوا منْ دونه آلهة).

٢– (إن **هؤلاءِ** لشرذمة قليلون)

٣– (ما **لهؤلاءِ** القوم لا يكادون يفقهون حديثا).

فالهمزة في "هؤلاءِ" تلزم الكسرة في الآيات الثلاث، مع أن العوامل الإعرابية الداخلة عليها مختلفة، فهي مبتدأ في الأولى، والأصل أن تظهر عليها الضمة، واسمُ "إنَّ" في الثانية، واسم "إنَّ" يُنْصَب، وهي في الآية الثالثة مسبوقة باللام، وهي حرف جرٍّ، فالأصل أن تكسر. لكنها لزمت الكسرة في الرفع، والنصب، والجر، ولم تحرَّك بحركة من الحركات التي يقتضيها العامل الإعرابي، وذلك معنى أنها مبنية.

فالكلمة المبنية – إذن – تلزم حركة واحدة، لا تتغير بتغير ما يدخل عليها من العوامل الإعرابية.

والغرض من معرفة المبني من الكلمات أن نُلْزِمها حركةً واحدة، لا تتغير، ونميزَها من الكلمات المعربة، فلا تلتبس بها، كما أن الغرض من معرفة المعرب أن نحرِّك أواخره بما تقتضي العوامل الإعرابية التي تدخل عليه. وأهم المبنيات:

١- الضمائر: وهي نوعان:

أ- ضمائر متصلة، وهي التي توصل بما قبلها نطقا وكتابة، ولا يُبدَأ بها: وهي: تاء الفاعل، نحو: صمتُ، وقلتَ، وقلتِ، وقلتُما، وقلتُم، وقلتنَّ. وألف الاثنين، نحو: قاما، اذهبا، وواو الجماعة، نحو: آمنوا، ويؤمنون، وياء المخاطبة، نحو: تعلمين، واعلمي، ونون النسوة، نحو: قُمْنَ، ويُرْضِعْن، وياء المتكلم، نحو: صاحبي، وكاف المخاطب، نحو: عليكَ، وعليكِ، وعليكما، وعليكم، وعليكنَّ، وهاء الغائب، نحو: علْمه، علْمها، علمهما، علمهم، علمهنَّ.

ب- ضمائر منفصلة: وهي التي تُفْصَل في النطق والكتابة عما قبلها من الكلم، ويُبْدَأ بها. وهي: أنا، ونحن، وأنتَ، وأنتِ، وأنتما، وأنتم، وأنتن، وهو، وهي، وهما، وهم، وهن، وإياي، وإيانا، وإياكَ، وإياكِ، وإياكما، وإياكم، وإياكن، وإياه، وإياها، وأياهما، وإياهم، وإياهن.

ولا يخفى أن الضمائر كلها تلزم حركة واحدة، هي التي تظهر على آخرها.

٢- أسماء الإشارة، وهي: هذا، وهذه، وهاتي، وهذان، وهاتان، وهؤلاء، وذلك، وذاك، وهنا، وهناك، وثَمَّ. وهي كلها مبنية، ما عدا "هذان وهاتان"، فيعربان إعراب المثنى.

٣- الأسماء الموصولة: وهي: الذي، والتي، واللذان، واللتان، والذين،

واللائي، واللاتي، ومَنْ، وما. ويستثنى من الأسماء الموصولة (اللذان واللتان)، فيعربان إعراب المثنى.

٤- الأعداد المركبة: وهي أحد عشر، وتسعة عشر وما بينهما. وتبنى على فتح الجزأين، أي إن آخر الكلمتين يلزم الفتح دائما، يستثنى من ذلك الجزء الأول من "اثنا عشر، واثنتا عشرة"، فيعرب إعراب المثنى، أما الجزء الثاني فيبنى على الفتح، نحو: (إني رأيت أحدَ عشرَ كوكبا)، (عليها تسعةَ عشرَ)، عندي أحدَ عشرَ كتابا، أعجبت بإحدى عشرةَ رواية. أما "اثنا عشر واثنتا عشرة"، فنحو:

- (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا).
- (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا).

٥- الظروف المركبة، وتبنى على الفتح، نحو: صباحَ مساءَ، وبينَ بينَ، مثل:

- سقط الكتاب بينَ بينَ، أي: بين الجدار والكرسي.
- زيد يعودني صباحَ مساءَ، أي: كل صباح ومساء.

٦- العَلَم المختوم بويهِ، ويبنى على الكسر، كسيبويهِ، وزَنْجَوَيهِ، ونفطويه. نحو:

- ألَّفَ سيبويهِ "الكتاب".
- رحم الله سيبويهِ ما أبدع تأليفه!

- أُعجبت بسيبويهِ.

٧- اسم الفعل: وهو كلمة يكون معناها معنى الفعل، ولكنها لا تتصرَّف كما يتصرف الفعل، ولا تدل على ما يدل عليه من الحدث والزمن، نحو: هيهاتَ (بَعُد)، وشتَّانَ (افترقَ)، وأوَّهْ (أتألَّمُ)، وأُفٍّ (أتضجَّر)، وصَهْ (اسكتْ)، ونَزالِ (انزل).

ولما كان معنى هذه الأسماء هو معنى الأفعال المذكورة بعدها، سميت بأسماء الأفعال التي تدل عليها، فمنها ما يسمى اسم فعل ماض، كهيهاتَ، وشتان؛ لأنهما بمعنى بَعُدَ وافترقَ، و"بعد وافترق: فعلان ماضيان، ومنها ما يسمى اسم فعل مضارع، كأوَّهْ، وأفٍّ؛ لأنهما بمعنى: أتألم، وأتضجرُ، وهما فعلان مضارعان، ومنها ما يسمى اسم فعل أمر، كصَهْ، ونزَالِ؛ لأنهما بمعنى: اسكتْ وانزلْ، وهما فعلا أمر.

٨- أدوات الشرط: وهي: ما، ومَن، ومهما، ومتى، وأنى، وأيان، وحيثُ، وكيفَ، وأيّ.

٩- أسماء الاستفهام: وهي: ما، ومَن، ومتى، وأنى، وأيان، وكيف، وكمْ، وأيّ.

١٠- أمسِ. وهو ظرف زمان لليوم الذي قبل يومك، ويبنى على الكسر، نحو: مضى أمسِ بما فيه، جاءني أمسِ صديقٌ حميم، أسفتُ على أمسِ إذ مضى ولم أُفِد منه.

١١-حيثُ: وهو ظرف مكان، ويبنى على الضم، نحو:

للفتى عقل يعيش به حيثُ تهدي ساقَه قدمُه

١٢- الفعل: الفعل كله مبني ما عدا المضارع. فالفعل الماضي يبنى على الفتح، نحو:

- (قد **سمعَ** الله قول التي تجادلك).
- (الآن **خفَّفَ** الله عنكم **وعلمَ** أن فيكم ضعفا).
- (**أمرَ** ربي بالقسط).

فإذا اتصل الماضي بتاء الفاعل، و(نا) الفاعلين، ونون النسوة، بُني على السكون، نحو: قلْتُ، قلْنا، قلْنَ. ويبنى على الضم إذا اتصل بواو الجماعة، نحو: قالُوا.

ويبنى فعل الأمر على ما يجزم به مضارعه، فإذا كانت علامة جزم مضارعه السكون، بني على السكون، مثل: اسْمَعْ، مضارعه المجزوم: لم يسمعْ، مجزوم بالسكون، فهو مبني على السكون. وإذا كانت علامة جزمه حذف النون، بني الأمر منه على حذف النون، مثل: (قولوا)، مضارعه المجزوم (لا تقولوا)، علامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، فهو مبني على حذف النون. وإذا كان مضارعه يجزم بحذف حرف العلة، بني على حذف حرف العلة، مثل: (**ادعُ** إلى سبيل ربك بالحكمة)، مضارعه المجزوم "فلا **تدْعُ** مع الله إلها آخر)، علامة جزمه حذف حرف العلة؛ لأنه معتل الآخر، فهو مبني على حذف حرف

العلة.

أما الفعل المضارع، فيُعرَب إلا في حالتين:

١- إذا اتصلت به نون التوكيد الثقيلة أو الخفيفة، فيبنى على الفتح، نحو: (لينبذَنَّ في الحطمة)، (ليسجنَنَّ وليكونَنْ من الصاغرين)، (ولا تقولَنَّ لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله)، (لنسفعنْ بالناصية). فالأفعال: ينبذ، ويسجن، ويكون، ونسفع، في محل رفع، ومع ذلك جاءت مفتوحة الآخر؛ لأنها اتصلت بنون التوكيد الثقيلة في "ينبذنَّ، ويسجننَّ"، والخفيفة في "يكونن، ونسفعن". و"تقول" مجزوم بـ"لا" الناهية، والأصل أن تسكَّن لامه، ولكنها فتحت؛ لأنه مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة.

٢- إذا اتصلت به نون النسوة، فيبنى على السكون، نحو:

- (والوالدات يرضعْن أولادهن حولين كاملين).
- (إن الحسنات يذهبْن السيئات).
- هن لم ينسَيْن ما أسدى والدهن من إحسان.
- لن تدخلْنَ الجنة حتى تعرفْن قدر الآباء.

فالأفعال: يرضعن، ويذهبن، وينسين، وتعرفن، وتدخلن، مسكنة الأواخر لاتصالها بنون النسوة، والثلاثة الأولى منها في محل رفع، و"ينسين" في محل جزم، و"تدخلن" في محل نصب.

هذه أهم المبنيات من الأسماء والأفعال. ولا يخفى أن المبنيات تبنى على الحركات التي تكون على آخرها، كما قد رأينا في الأمثلة السابقة. فتبنى على الفتح، أو على الكسر، أو على الضم، أوعلى السكون.

أما الحروف فمبنية كلها، وليس فيها ما يعرب، وهي تبنى على الحركات التي تظهر عليها، نحو: ليتَ، لعلَّ، إنَّ، سوفَ، هلْ، بلْ، عنْ، قدْ، اللام، إلخ.

وكل ما ليس مبنيا من الكلم، فهو معرب. ولعلك ترى أن المبنيات من الأسماء والأفعال قليلة ومعدودة، أما المعربات، فلا تحصى.

تمرين

س١ بيِّن المبنيات فيما يأتي، ونوعها:

- (قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين).
- (ولئن شئنا لنذهبنَّ بالذي أوحينا إليك).
- (فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله).
- (وأخذن منكم ميثاق غليظا).
- (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة).
-(فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله).
- (رب قد آيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين).
- (فأوف لنا الكيل وتصدق علينا)
- (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك).
- (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).
- (يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله).
- (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين).
- (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد).
- (ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه).

-(لئن شكرتم لأزيدنكم).

- (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله).

- (فذانك برهانان من ربك).

- (تلك أمة قد خلت).

- (إن هؤلاء يحبون العاجلة).

- (بل متعت هؤلاء وآباءهم).

- (ربنا أرنا اللذين أضلانا من الإنس والجن).

- (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا).

- (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا).

- (ماذا أراد الله بهذا مثلا).

- (ومن يغفر الذنوب إلا الله).

-(متى هذا الوعد؟).

- (أنى لك هذا؟).

- (أين شركائي الذين كنتم تزعمون).

- (فكيف كان عذابي ونذر).

- (ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما).

- أمسيت إذ رحل الشبابُ حزينا ليت الليالي قبل ذاك فنينا

س١ استخرج ما في الآيات الآتية من المبنيات والمعربات، وبين نوعها،

والحركة التي بنيت عليها: (إنْ تبدوا الصدقات فنعمَّا هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير. ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء، وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون. للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم). (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين).

س٢ مثِّلْ لما يأتي في جملة مفيدة، مع الضبط:

- عدد مركب.
- علَم مختوم بويه.
- أداة استفهام.
- أداة شرط.
- فعل مضارع مبني على السكون، واذكر السبب.
- فعل ماض مبني على الضم، واذكر السبب.
- اسم موصول معرب.
- اسم إشارة معرب.
- عدد مركب أحد جزأيه معرب، والآخر مبني.
- ظرف مبني على الضم وآخر مبني على الكسر.
- ضمير متصل وآخر منفصل.

تمرين عام

أوصت أعرابية ابنتها ليلة زفافها، فقالت: أى بنيةُ، إِنَّك فَارَقت بَيْتك الَّذِي مِنْهُ خرجت، وعشَّك الَّذِي فِيهِ درجت، إِلَى رجل، لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني لَهُ أَمَةً يكن لَك عبدًا. واحفظى لَهُ خِصَالا عشرًا، تكن لَك ذخْرًا، أما الأولى وَالثَّانِية، فالخشوع لَهُ بالقناعة، وَحسن السّمع لَهُ وَالطَّاعَة، وَأما الثَّالِثَة وَالرَّابِعَة، فالتفقد لمواضع عَيْنَيْهِ وَأَنْفه، فَلا تقع عينه مِنْك على قَبِيح، وَلا يشمَّ إِلا أطيب ريح، وَأما الْخَامِسَة وَالسَّادِسَة: فالتفقد لوقت مَنَامه وَطَعَامه، فَإِن حرارة الْجُوع ملهبة، وتنغيص النّوم مغضبة، وَأما السَّابِعَة وَالثَّامِنَة، فالاحتفاظ بِمَالِه، والإرعاء على حشمه وَعِيَاله. وملاك الأَمر فِي المِال حسن التَّقْدِير، وَفِي الْعِيَال حسن التَّدْبِير، وَأما التَّاسِعَة والعاشرة، فَلا تعصنَّ لَهُ أمرًا، وَلا تُفْشنَّ لَهُ سرًّا، فَإِنَّك إِن خَالَفت أمره، أوغرتِ صَدره، وَإِن أفشيت سره، لم تأمني غدره، ثمَّ إياك والفرحَ بَين يَدَيْهِ إِن كَانَ مهتمًّا، والكآبة بَين يَدَيْهِ إِن كَانَ فَرحًا.

١- استخرج من الوصية:

- منادى وبين نوعه.
- مفعولاً به.
- عددًا منصوبًا.
- مفعولاً فيه.

- مفعولاً لأجله
- تمييزًا منصوبًا .
اسمًا معطوفًا منصوبًا.
٢- استخرج ما في القطعة من أفعال الأمر، وبين علامة بنائها.
٣- استخرج ما في القعطة من الأفعال المضارعة المرفوعة، والمنصوبة، والمجزومة وبيِّن علامة الإعراب فيها.
٣- استخرج من القطعة:
- مثنىً.
- خبر كان .
- مضافا إليه.
- اسما مجرورًا بحرف جر.
- اسم إنَّ.
- بدلا.

العدد

باب العدد من الأبواب التي يكثر فيها الخطأ، وإنما يكون الخطأ – غالبا – في تذكير العدد وتأنيثه، أما تمييزه، فمن الغالب ألا يقع فيه خطأ؛ لأن الفصحى والعامية تتفقان فيه، كما تتفقان في أكثر أبواب اللغة. وسوف ندرس العدد من حيث الإعراب، والتمييز، والتذكير والتأنيث، والقراءة.

والعدد أربعة أقسام:

١– العدد المفرد: وهو من ١– ١٠، ومائة، وألف، ويلحق به بضع، ونيف.

٢– العدد المركب: وهو من ١١ – ١٩,

٣– ألفاظ العقود: وهي مضاعفات العشرة من ٢٠ –٩٠,

٤– العدد المعطوف، وهو ما يقع بين لفظين من ألفاظ العقود، ٢١ إلى ٩٩.

أولا– إعراب العدد

يُعربُ العدد على حسب موقعه في الجملة، ولا يختلف إعرابه عن كل ما قد رأينا من أنواع الأسماء، لكننا من باب التذكير نقول إنه أربعة أقسام:

١– عدد مبني: هو العدد المركب، من ١١ – ١٩، ويبنى على فتح الجزأين، ما عدا الجزء الأول من اثني عشر واثنتي عشرة، فملحق بالمثنى،

أما الجزء الثاني، فمبني على الفتح.

٢- عدد معرب بعلامات فرعية: هو ألفاظ العقود، وهي ملحقة بجمع المذكر السالم.

٣- عدد يُعرَب بعلامات أصلية، هو العدد المفرد، (ما عدا اثنين واثنتين) والعدد المصوغ على وزن فاعل.

٤- عدد بعضه يعرب بعلامات أصلية وبعضه يعرب بعلامات فرعية، هو العدد المعطوف، لأنه مؤلف من عدد مفرد، وألفاظ العقود، فالعدد المفرد يعرب بعلامات أصلية، ما عدا اثنين واثنتين، وألفاظ العقود تعرب إعراب جمع المذكر السالم. نحو: مضت **خمسةٌ** وعشرون يوما، فخمسة عدد مفرد يعرب بالعلامات الأصلية، وعشرون لفظ من ألفاظ العقود يعرب إعراب جمع المذكر السالم.

ثانيا- التمييز

وتمييز العدد غير المفرد يكون مفردا منصوبا، نحو: قضيت ثلاث عشْرةَ **ساعةً** بمكة، مضت خمسون **يوما** من الفصل الدراسي، قرأت في هذا العام اثنين وعشرين **كتابا**. أما العدد المفرد، فينقسم ثلاثة أقسام:

أ- واحد واثنان: لا تمييز لهما، نحو: يوم **واحد**، يومان **اثنان**.

ب- من ٣ - ١٠: وتمييزه يكون جمعا مجرورا بالإضافة، نحو: (تزرعون سبعَ **سنين** دَأَبًا)، (إني أرى سبْعَ **بقراتٍ** سمانٍ)، (كمثل حبة أنبتت سبعَ **سنابلَ**). وكذلك "بضع"، نحو: قضيت في الجامعة بضعَ **ساعاتٍ**،

الامتحان بعد بضعةِ **أيامٍ**.

ج- المائة والألف: تمييزهما يكون مفردا مجرورا بالإضافة، نحو: (في كل سنبلة مائةُ **حبةٍ**)، (في يوم كان مقداره خمسين ألفَ **سنةٍ**).

ثالثا- التذكير والتأنيث

ينقسم العدد من حيث التذكير والتأنيث إلى عدة أقسام:

١- واحد واثنان: يطابقان المعدود في تذكيره وتأنيثه، نحو: يوم **واحد**، ليلة **واحدة**.

٢- المائة والألف وألفاظ العقود: يستوي فيها المذكر والمؤنث، فلا يتغير لفظها: **مائة** ليلة، **مائة** يوم، **ألف** ريال، **ألف** زهرة، خمسون زهرة، سبعون كتابا.

٣- العدد المفرد من ثلاثة إلى عشرة: يخالف المعدود في تذكيره وتأنيثه، فإن كان مؤنثا ذُكِّر، وإن كان مذكَّرا أُنِّث، نحو: (سخرها عليهم **سبع** ليال **وثمانية** أيام حسوما)، (فشهادة أحدهم **أربع** شهادات بالله إنه لمن الصادقين). فـ"سبع" مذكَّر لأن المعدود (ليال) مؤنث، و"ثمانية" مؤنث؛ لأن المعدود مذكَّر.

٤- العدد المركب (١١- ١٩): ويقسم قسمين:

أ- أحد عشر، واثنا عشر: يطابقان المعدودَ في التذكير والتأنيث، نحو: (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا)، (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا)، (إني رأيت أحد عشر كوكبا)، عندي إحدى عشرة قصة.

ب- ١٣ - ١٩ : جزؤه الأول يخالف المعدود، والثاني يطابقه، نحو: **ثلاثة عشر** يوماً، **ثلاث عشرة** ليلة. فـ"ثلاثة" في العبارة الأولى مؤنث؛ لأن المعدود مذكر، وهو يوم، أما "عشر"، فمذكر؛ لأن المعدود مذكر، و"ثلاث" في العبارة الثانية مذكر؛ لأن المعدود مؤنث، وهو "ليلة"، و"عشرة" مؤنث؛ لأن المعدود مؤنث.

٥- الأعداد المعطوفة (٢١ - ٩٩): الأول منها -إن كان واحدا واثنين- يطابق المعدود، نحو: **واحد** وعشرون يوما، **إحدى** وعشرون ليلة، فإن كان ثلاثة وتسعة ومابينهما، فهو يخالف المعدود؛ لأنه عدد مفرد، ولفظ العقد لا يتغير: **ثلاث وعشرون** ليلة، **ثلاثة وعشرون** يوما.

وتستعمل "بضعة)" استعمال العدد المفرد، فتذكَّر مع المؤنث، وتؤنث مع المذكر، فيقال: **بضعة** كتبٍ، **وبضع** قصص. وتستعمل مع العدد المركب، فتخالف المعدود، نحو: **بضعة عشر** كتاباً، **وبضع عشرة** قصة. والبضعة من ٣ - ٩ .

ويستعمل (نيِّف) مع ألفاظ العقود فقط، وهو من ١ - ٩، فيقال: عشرون ونيفٌ، وخمسون ونيفٌ، ولا تلحقه تاء التأنيث.

٧- إذا صيغ العدد على وزن فاعل للدلالة على الترتيب، طابق المعدود في تذكيره وتأنيثه، سواء أكان مفردا أم كان مركبا، نحو: الطالب **الثاني**،

الطالبة **الثانية**، الحصة **الرابعة**، الطالب **الخامس**، الطالب **الخامسَ** عشرَ، الطالبة **الخامسةَ** عشرةَ.

رابعا– قراءة العدد

الصحيح في قراءة العدد في العربية الفصحى أن يبدأ من اليمين إلى اليسار، أي من العدد الأصغر فالذي يليه، ، فهذه الأعداد: ٢٥ قلما، ٤٢٦٥ صفحة، ٤٧٨٢ كتاب، ٧٢٩١ يوم، إذا أريدت قراءتها، فهكذا تقرأ:

– بعت خمسة وعشرين قلما.

– صوَّرت خمسا وستين ومائتين وأربعة آلاف صفحة.

– في مكتبتي أكثر من اثنين وثمانين وسبعمائةٍ وأربعةِ آلافِ كتابٍ.

– الطواف حول العالم يستغرق أقل من واحد وتسعين ومائتين وسبعةِ آلاف يوم.

وينبغي التنبه إلى أن التمييز يكون لآخر لفظ من ألفاظ العدد يلفظ به.

تمرين

س١ ضع الأعداد الملائمة بدل الأرقام، وراع ما تجب مراعاته في قراءة العدد:

١- عمري (٢٠) عام.

٢- في مكتبتي (١٩) كتاب.

٣- في مكتبتي (٢٧) قصةً.

٤- سهرتُ (٥) ساعات في انتظار أبي.

٥- رمضان هو الشهر (٩) من أشهر السنة.

٦- حفظت سورة (١)

٧- أعرتُ صديقي قلم (١)

٨- دُرِّب (١٣١٢) طالب.

٩- احتُفلَ بتخريج (٥٧٧) طالب.

س٢ أعرب العدد في هذه الجمل:

- "مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّار".

- لاَ حَسَدَ إِلا فِي اثْنَتَيْن .

- اشتريتُ أحدَ عشرَ كتابًا .

- (إني رأيت أحد عشر كوكبا).

- أتى على احتلال فلسطين أكثر من ستينَ عامًا.

س٣ أصلح الخطأ في هذه الجمل:

- أعجبت بخمسةً وعشرينَ قصيدةً .
- في المكتبةِ ستًّا وثمانينَ مرجعًا.
- حصل الطالبُ على ثمانيةِ جوائزَ.
- تسلمت المتسابقةُ الخامس جائزتها.

القسم الثالث
بعض الأدوات

ما ومَن

لـ"ما" أنواع كثيرة، يهمنا منها –هاهنا– الاستفهامية، والموصولية، والشرطية؛ فإن بعض الناس لا يفرقون بينها وبين "مَن". فـ"ما" الاستفهامية والموصولية والشرطية تستعمل لغير العاقل، بخلاف "مَن"، فإنما تستعمل للعاقل. فيقال:

– ما هذا؟

– ما الذي حملك على ما فعلت؟

والمعنى: أيُّ شيء هذا، وأيُّ شيء حملك على ما فعلت؟

ويقال في الموصولية:

– (لله ما في السماوات وما في الأرض).

– (ما عندكم ينفد وما عند الله باق).

أي: لله الذي في السماوات والذي في الأرض. والذي عندكم ينفد والذي عند الله باق.

ويقال في الشرطية:

– (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه).

– (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله).

والمعنى كل شيء من الخير يفعلونه فلن يكفروه، وكل شيء من الخير يقدمونه لأنفسهم فسوف يجدونه عند الله.

أما "مَن"، فتستعمل اسمَ استفهام، واسما موصولا بمعنى الذي، واسمَ شرط، وتكون للعاقل. فمن استعمالها اسمَ استفهام للعاقل:

- (قالت مَنْ أنبأك هذا).
- (يا ويلنا مَنْ بعثَنا من مرقدنا هذا).
- (قال مَن يحيي العظام وهي رميم).

ومن استعمالها اسما موصولا بمعنى الذي:

- (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء).

أي: لا تقولوا للذين يقتلون في سبيل الله.

ومن استعمالها أداة شرط:

-(من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم).
- (مَن كان يريد العاجلة عجَّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد).
-(ومَن نعمِّره ننكِّسه في الخلق).

إذا وإن

ولـ"إذا" معان، أشهرها أن تكون أداة شرط غير جازمة، تدل على الزمان، نحو: (إذا جاء نصر والله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره). وتدل "إنْ" على الشرط أيضا، والفرق بينها وبين "إذا" أن "إذا" اسم دال على الظرف، ولا تدل "إن" على أكثر من تعليق فعل الشرط بجوابه. ومن الفروق بينهما أن "إذا" لما يُتَيقَّين وجوده أو يرجَّح، أما "إن"، فللمشكوك فيه.

متى وأيان

وهما في الأصل أداتا استفهام عن الزمان، وتستعملان أداتي شرط

أيضا. إلا أن "أيان" تُستعمل في الاستفهام عن الشيء العظيم، كقول الله – تعالى –: (أيَّانَ يوم القيامة)، (أيان يوم الدين). ومن استعمالهما في الشرط:

متى تأتِه، تعشو إلى ضوء ناره، تجدْ خير نار، عندها خير مُوقِد

– أيان تدعُني أجبْك.

ليت ولعل

و"ليت" حرف تَمنٍّ، يتعلَّق بالمستحيل غالبا، كقول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يوما؛ فأخبرَه بما فعل المشيبُ

و"لعلَّ" حرف، يدل على التوقع، وهو الترجي، نحو: (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا)، والإشفاق، نحو: لعل العدوَّ قادم. والترجي يكون في المحبوب، وهو أشهر معاني "لعل"، والإشفاقُ يكون في المكروه.

السين وسوف

والسينُ حرفٌ يخلِّص المضارع للاستقبال، ويسمَّى حرفَ تنفيسٍ، أَي توسيعٍ؛ لأنها تَنقُلُ المضارعَ من الزمان الضيِّقِ، وهو الحالُ؛ إلى الزمانِ الواسعِ وهو الاستبقال، كقول الله – تعالى –: (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم). و"سوفَ" مرادفة للسين، ويرى بعض النحويين أَنها أَطولُ منها زماناً. ومن ورودها في القرآن الكريم قول الله – تعالى –: (ولسوف يعطيك ربك فترضى).

قد

ولها معان، منها التحقيق، والتقليل. وإذا كانت للتحقيق، فتدخل على الماضي والمضارع، نحو: (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)، (قد أفلح المؤمنون)، (قد يعلم الله المعوقين منكم)، (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون). وإذا كانت للتقليل، فتدخل على المضارع: قد يصدق الكذوب، وقد يجود البخيل، وقد تسبق العرجاء.

كم

وهي نوعان: استفهامية، وخبرية.

١- الاستفهامية: وهي أداة استفهام، يُسأل بها عن عددٍ، تُراد معرفته، مثل: كم يومًا في السنة؟ كم صديقا لك؟.

والاسم الذي يأتي بعدها يكون مفردا منصوبا على التمييز.

٢- الخبرية: ولا يراد بها الاستفهام، وإنما الإخبار، وإن وافقت لفظ "كم" الاستفهامية، ولذلك تسمَّى "كم" الخبرية. وتكون بمعنى "كثير"، نحو: (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله)، (ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون). والاسم الذي بعدها يكون مجرورا بـ"من" مذكورة أو مقدرة، ويكون مفردا وجمعا.

من الأخطاء الشائعة

الخطأ في العربية داء قديم، ظهر في القرن الأول للهجرة، بسبب اختلاط العرب بمن أسلم من العجم. وهو سبب نشأة النحو وتدوين اللغة. وهو ظاهرة في اللغات الإنسانية كلها، وسبب من أسباب ما يلحقها من التغير والتبدل، حتى لتنتقل إلى لغات أخرى، يبدو البون بينها وبين أصولها كبيرا. وتقع فيه الخاصة، كما تقع فيه العامة. وتطَّرد كثرة الأخطاء اللغوية وقلةُ العلم باللغة؛ من أجل ذلك كان نصيب العربية من الأخطاء في هذا العصر أوفر من نصيبها منها في كل عصر آخر؛ لقلة معرفة العرب بها.

ومنذ ظهر الخطأ في العربية والعلماء ينبِّهون عليه، صونا لها من التغير، وعونا لأهلها على توقِّيه. وقد ألَّفوا فيه كتبا كثيرة، منذ القرن الثاني الهجري، إلى اليوم، من أشهرها قديما "درة الغواص في أوهام الخواص"، للحريري، و"إصلاح المنطق"، لابن السكيت، و"لحن العامة"، لأبي بكر الزُّبيدي. ومن أشهرها حديثا: "لغة الجرائد"، لإبراهيم اليازجي، و"قلْ ولا تَقُلْ"، لمصطفى جواد، و"معجم الأخطاء اللغوية الشائعة"، و"معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة"، لمحمد العدناني.

وسوف نقتصر على قليل من أشهر الأخطاء في هذا العصر؛ لعلها تنبه على ما ينبغي من التصوُّن عن الخطأ، وتحري الصواب، وأن كثيرا مما يشيع على الألسنة والأقلام اليوم ليس بصحيح. فمن أشهر الأخطاء الشائعة في هذا العصر:

١- حدَّق فيه: والصواب حدق إليه، أي نظر إليه.

٢- يوجد مريض بالداخل: والصواب: بالداخل مريض.

٣- كلما قرأت كلما استفدت: والصواب: كلما قرأت، استفدت.

٤- ستنجح طالما أنك مجتهد: والصواب: ستنجح مادمت مجتهدا.

٥- مُصاغ: والصواب: مصوغ؛ لأن الفعل الذي اشتق منه "صاغ"، وليس "أصاغ".

٦- هذا رأي خاطئ: والصواب: هذا رأي خطأ؛ لأن الخاطئ هو الآثم، وليس الذي خالف الصواب، كما يبدو من قول الله - تعالى -: (لا يأكله إلا الخاطئون)، أي الآثمون.

٧- لا يخفاك: والصواب: لا يخفى عليك.

٨- أكَّد على الحضور: أكد الحضور.

٩- سوف لا أحضر غدا: والصواب: لن أحضر غدا؛ لأن "سوف" لا يفصل بينها وبين الفعل، وإنما هذا الأسلوب ترجمة حرفية للعبارة الإنجليزية: I will not come tomorrwo.

١٠- من هو الذي فتح الأندلس؟ ما هو اسمك؟: والصواب: من الذي فتح الأندلس؟ ما اسمك؟.

١١- تعتبر المجاملة خلقا كريما، والصواب: تُعدُّ المجاملة خلقا كريما.

١٢- كتبت بواسطة القلم: والصواب: كتبت بالقلم.

١٣- قاتل الجندي ضد الأعداء: والصواب: قاتل الجندي الأعداء. أما "ضد"، فترجمة حرفية للكلمة الإنجليزية against، وما في معناها من

اللغات الأوربية، وهي أثر من آثار الترجمة الحرفية غير العارفة.

١٤- رُزِق فلان بمولود: والصواب: رزق فلان مولودا.

١٥- نحن كمسلمين لا نكذب: والصواب: نحن المسلمين لا نكذب. والكاف هنا لا معنى لها، وإنما هي ترجمة للكلمة الإنجليزية: as، وما في معناها من الكلمات الأوربية، ولذلك سماها بعض اللغويين الكاف الأعجمية.

١٦- بما أنك مجتهد ستنجح: والصواب: لأنك مجتهد ستنجح.

١٧- حضر الطلاب بمن فيهم زيد: والصواب: حضر الطلاب ومنهم زيد.

١٨- أراه يوميا: والصواب: أراه كل يوم. وإنما هذا الأسلوب ترجمة حرفية للأسلوب الإنجليزي: I see him daily.

١٩- إذا زاد الشيء عن حده: والصواب: إذا زاد الشيء على حده.

٢٠- هذا كلام ينقصه التحقيق: والصواب: هذا كلام يُعْوِزُه التحقيق.

٢١- رأيتك أكثر من مرة: والصواب: رأيتك غير مرة.

٢٢- يتوه في المدينة: والصواب: يتيه في المدينة، وفي القرآن الكريم: (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض)

٢٣- السواح: والصواب: السياح.

٢٤- سلَّموا على بعضهم البعض: والصواب: سلَّم بعضهم على بعض.

٢٥- قيَّمت الامتحان: والصواب: قوَّمت الامتحان.

٢٦- أجاب على سؤاله: والصواب: أجاب عن سؤاله.

٢٧- رضخ له: والصواب: أذعن له؛ لأن الرضوخ معناه العطاء القليل.

٢٨- جاء لوحده: والصواب: جاء وحدَه.

٢٩- وحيث إني كنت مريضا لم أتمكن من الحضور: والصواب: ولأني كنت مريضا لم أستطع الحضور؛ فـ"حيث" ظرف مكان، وليس من معانيه التعليل.

٣٠-كم أنت رائع: والصواب: ما أروعك؛ لأن "كم" أداة استفهام عن العدد، ولا تستعمل في التعجب، مما يستعمل فيه مرادفها الإنجليزي (how).

٣١- نوايا حسنة: والصواب: نيات حسنة، كما في الحديث: "إنما الأعمال بالنيات".

٣٢- ليس له مبرر: والصواب: ليس له مسوِّغ.

٣٣- أَثَّرَ عليه: والصواب: أَثَّرَ فيهِ أَو بهِ.

٣٤- قال أثناء كلامه: والصواب: قال في أثناء كلامه؛ لأنَّ "أثناء" ليس بظرف، وإنَّما هو جمع ثِنْيٍ، وأثناءُ الشيء: تضاعيفه .

٣٥- بتَّ في الأمر: والصواب: بتَّ الأمرَ.

٣٦- لَسَعَتْهُ حيّة، ولَدَغَتْه عقرب: والصواب لدغته حية، ولسعته عقرب، فما يضرب بذنبه، كالعقرب، يسمى عمله لسْعًا، وما يضرب بفيه، كالحيّةِ، يسمى ضربه لدَغًا.

٣٧- احتار في الأمر: والصواب: حار في الأمر.

٣٨- تكبد خسائر فادحة: والصواب: خسِر خسائر فادحة؛ لأن التكبد له معنيان:

أ- التوسط، كما يقال تكبَّدت الشمس السماءَ، إذا صارت في كبده، أي وسطه.

ب- الخثور: كما يقال: تكبَّد اللبن، إذا خثُر وغَلُظ.

٣٩- كُلِّف فلان بالعمل: والصواب: كُلِّف فلانٌ العملَ؛ لأن كلَّف يتعدى بنفسه إلى مفعولين، نحو: (لا يكلِّف الله نفسا إلا ما آتاها)، (لا تُكَلَّف إلا نفسَك).

٤٠- كلام لاغٍ، أي: باطل، والصواب: كلام مُلْغى؛ لأنه من ألغى كلامه إذا أبطله، أما لاغ، فمن اللغو، يقال: لغا فلان يلغو لاغية، فهو لاغ، إذا أخطأ، ومنه قوله - تعالى -: (لا تسمع فيها لاغية).

٤١- هيئة التدريس، وهيئة كبار العلماء، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: والصواب: جماعة التدريس، وجماعة كبار العلماء، وجماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونحو ذلك من الكلمات التي تدل على الجمع، أما "الهيئة"، فالشارة (اللباس الحسن)، وحال الشيء الظاهرة وكيفيته.

نصوص مختارة

سورة الحجرات

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ

ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ
ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا
مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى
ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ
فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ
٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن
قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن
يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ
بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ
ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم
بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا
خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ
أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ قَالَتِ
ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا
يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا
يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ
وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٦﴾
يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ
ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾
إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا
تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾

تمهيد

سورة الحجرات سورة مدنية، ولكنها نزلت منجمة (مفرقة)، في حوادث شتى، على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، منها مخالفات كانت من بعض الصحابة -رضي الله عنهم-، فعلَّمهم الله - تعالى - ما ينبغي من الأدب، ومنها ما كان من أعراب، قدموا المدينة، فكان منهم ما لا يليق في حق الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، على ما يقتضي جهلهم، وقلة معرفتهم بآداب الإسلام. ولكنَّ بين المفسرين في الحوادث التي كانت سببَ نزول بعض الآيات خلافا، لا يعنينا ذكره؛ لأن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، أي بما يدل عليه اللفظ من آداب وأحكام ومعان، لا بالحادثة التي نزلت فيها الآيات، وإنما يُعرَض لسبب النزول؛ ليستعان به على فهم المعاني.

وآيات السورة -على اختلاف المناسبات التي نزلت فيها - مترابطة، وبعضها آخذ برقاب بعض، حتى كأنما أنزلت في حادثة واحدة، وتدور على موضوع واحد. ولعل سبب ذلك أن الحوادث التي نزلت فيها متقاربة، وتتفق في أنها مخالفة للآداب والأحكام الشرعية، وبعضها كان من قوم حديثي عهد بالإسلام، يتشابه سلوكهم لتشابه ثقافتهم، وكانت معالجة تلك المخالفات تعليمَهم ما جهلوا من الآداب والأحكام، لتخليصهم من الثقافة التي كانت سببَها.

والآداب الورادة في السورة قسمان: آداب في حق الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، وآداب فيما ينبغي أن يكون بين المسلمين. وأول هذه الآداب تعليم المسلمين بعضَ ما يجب عليهم من الأدب مع الله، ومع نبيه –صلى الله عليه وسلم– حين يكونون بحضرته، ومعاملته في خطابه وندائه، ولزوم أمره، وعدم التقدم عليه، ووجوب صدق المسلمين فيما يخبرون به، والتثبت مما يُنقَل إليهم، ومجانبة أخلاق الكافرين والفاسقين، وحكم ما قد يكون بين المسلمين من تقاتل، من الإصلاح، والعدل، ونصرة المحق على المبطل، والمصيب على المخطئ، وما يجب من حسن تعامل المسلمين فيما بينهم، في أحوالهم كلها؛ من أجل بناء مجتمع مسلم، متأدب بأدب الله ورسوله، مع الله ورسوله، ومع نفسه وغيره من الناس، متَّسم بنقاء السرائر، وعفة الألسن. فالأدب مع الله يكون بمعرفة المرء منزلتَه من الله، ومن رسوله الذي يبلِّغ عنه، فلا يسبقهما في أمر أو نهي، ولا يقترح عليهما في قضاء أو حكم، ولا يتجاوز ما يأمران به وينهيان عنه، ولا يجعل لنفسه إرادة أو رأيا دونهما، أو معهما، ثقةً بأن الله أعلم منه به، وأدرى منه بمصالحه. ومن خالط هذا قلبَه –عن يقين– لم يكن له سوى انتظار ما يختار الله له، وكان حكمه وقضاؤه أحبَّ إليه من اجتهاده، ونظره لنفسه؛ لاعتقاده أنه

أعلم به منه، وعلمِه بما في نفسه من ضعف وقصور، وأنه إذا عرف شيئا غابت عنه أشياء.

وهذا المجتمع يُنزل الناس منازلهم، فيخاطبهم بما ينبغي أن يخاطبوا به، ويعرف لهم أقدارهم، وينزل كل شيء في الوجود منزلته التي تليق به. وهو مجتمع يضع الأشياء في نصابها، فيتثبت في الأخبار، ولا يحكم في الأمور حتى يستجمع حيثيات الحكم، تحريا للحق والعدل، وتجنبا لما قد تسوق إليه الأهواء من ظلم وحيف. وهو مجتمع يحب الحق، والخير، ويقصد إليهما قصدا؛ لأنه مجتمع رباني، أُشرِب في قلوبه حب الإيمان، وزُين فيها، وكُرِّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وأُلهم رشده.

فمن حبه الخيرَ صلحُه بين الإخوة، إذا اختلفوا، ونصرةُ المظلوم على من بغى عليه، من إخوته، وإقامة العدل في الصلح، من غير انتهاز لضعف الضعيف، ولا مسايرة لقوة القوي. وبتلك النصرة يشعر الضعيف أنه قوي بإخوانه، وبالحق الذي آثره على الباطل؛ لأن ذلك هو مقتضى إيمانه بالله، وامتثاله أمره، ويَعلم إخوته أن الحرص على الصلح بينه وبين من بغى عليه لا يعني أن يُحمل على التنازل عن حقه، خوفا أو طمعا، أو نزولا على حكم الواقع الذي قد يجور، على ما يقتضي اختلال موازين القوة. ومن غير أن يشعر الباغي، إذا خُضِدت شوكته، وحُمل على أن يدين للحق، وأُخذ منه للملظوم، أن عليه أن يدين للقوة التي

غلبته، ويرضى بما قد يكون منها من حيف عليه؛ فقد كان الحامل على الصلح وقتال الباغي الأخوة في الله، والحرص على إقامة العدل الذي لا تستقيم الحياة إلا عليه، وإصلاح ذات بين المسلمين، وليس له غرض آخر مما عهِد الناس في حياتهم.

وهو مجتمع متصالح، تربطه الأخوة في الله برباط رباني، يجعل الحب، والألفة فوق كل اعتبار من الاعتبارات المعهودة في الجاهلية، وأدنى مقتضيات الأخوة في المجتمع الإسلامي أن يأمن المرء على نفسه، وعرْضه وماله، بتحريمها، وتحريم النيل منها، وتشريع الأحكام التي تصونها، كما ورد في الحديث: "كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه"، وتحريم التجسس، والغيبة، والسخرية، واللمز، والنبز، لما فيها من تنقص للإنسان، واستصغار له، واعتداء عليه، وانتهاك للمصون من حرماته، وجعْل التقوى معيار التفاضل، دون ما كان يعتدُّ به الجاهليون، من أنساب، وما يعتد به غيرهم من مال وجاه، ونحوهما، ووضع الاختلاف بين الناس في نصابه، وتحريم أن يُتجاوَز به ما أراد الله، من جعله وسيلة للتعارف. والتذكير بماهية الإنسان ومبدأ نشأته، واشتراك الناس جميعا في تلك الماهية والنشأة، اشتراكا لا يتأتى معه أن يتفاضلوا إلا بالعمل وحده؛ لأنهم سواء فيما عداه؛ فلا معنى لأن يتفاضلوا فيما هم فيه سواء. وكان بعض تلك الأحكام يُلْقَى إلى المسلمين في صورة أمر

مصدَّر بـ (يأيها الذين آمنوا)، إشارة إلى أن امتثال ذلك الأمر هو مقتضى ما يعلن به المسلمون من الإيمان، وأن مخالفته مباينة له.

هذا مجمل في ما ورد في السورة من أحكام ومعان عامة، سوف نقف عندها لنرى كيف فصَّلتها، وسيكون أكبر همنا استخراج معاني الآيات من ألفاظها؛ فإن ذلك هو الذي يفيدنا هاهنا؛ إذ كان غرض دراسة السورة لغويا في المقام الأول، وإنما يعين على ذلك أن تستخرج معانيها من ألفاظها، أما الاقتصار على بيان مجمل المعاني، فليس مما يفيد في هذا المقام.

معاني السورة

معنى "قدَّم" في الآية الأولى من السورة: تقدَّم، مثل: وجَّه بمعنى توجَّه، وبيَّن بمعنى تبيَّن، وأصل التقدم: المشي قبل الغير. وهو هاهنا استعارة تمثيلية: شبَّه من يفعل فعلا دون إذن من الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم– بمن يتقدم مَنْ يماشيه ويتركه خلفه. ووجه الشبه الانفراد عنه في الطريق. وفي قوله تعالى: (بين يدي الله ورسوله) استعارة تمثيلية، شبّه تعجُّل الصحابة في إقدامهم على البتِّ في الحكم على أمر من أمور الدين بحالة من تقدَّمَ بين يدي متبوعه أثناء سيره في الطريق. وجملة (إن الله سميع عليم) تعليل للنهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، وللأمر

بتقوى الله. وكثير من الأساليب التي تصدَّر بـ"إن" في مثل هذا الأسلوب، في هذه السورة وغيرها من القرآن الكريم، وفي كلام العرب، غرضها التعليل، كقول الله -تعالى-: (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)، (واتقوا الله إن الله تواب رحيم)، وقوله: (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء).

وقد أمر الله في هذه الآية بانتظار حكم الله في الأمور، وعدم القطع فيها قبل أن يحكم الله فيها حكمه، وإنما كان هذا الأمر تأديبا للذين كانوا يقولون من الصحابة: "لو أنزل في كذا كذا"، أي: يقولون إن مِن الأصلح أن يُنزل الله أحكاما يرونها في أمور بعينها، فنُهوا عن ذلك، وأُمروا أن ينتظروا حكمه، وأن يلزموه، إذا صدر. وفحوى الآية: اتبعوا الله ورسوله؛ فإن متابعتهما مقتضى الإيمان بالله، وتصديق رسوله.

وليس النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله خاصا بحياة النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه لا مفهوم له بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وانقطاع الوحي، بل هو باق إلى يوم الدين؛ إذ كانت فحوى الآية الأمر بطاعة الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، ومن طاعتهما لزوم ما شَرَعا، ومن عدم التقدم بين يديهما ألا يُقْدِم المرء على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، واعتقادُه أن حكمه عين المصلحة، وأن الشرع إنما أُنزل جلْبا للنفع، ودفعا للضر؛ فإن التصرف في الأمور بمعزل عن الشرع،

ومعرفة حكمه فيها يعني الاستغناء عنه بالرأي، أو عدم مبالاته. وكذلك تنكُّب الحكم الشرعي إلى رأي من الآراء، ولو ادُّعيَ أنه مبني على العلم. ومن مقتضيات امتثال الآية أيضا لزوم الحكم كما شرعه الله، بعدم نقصه، أو الزيادة فيه، أو تقديمه أو تأخيره عن الزمان والمكان اللذين حُدَّا له. وقد ورد أن هذه الآية نزلت في بعض الصحابة، ذبحوا أضحياتهم قبل أن يصلي النبي -صلى الله عليه وسلم-العيد، فأمرهم أن يعيدوا الذبح؛ ليكون عملهم تبعا لعمله، متقيدا بأداء العبادة في الزمن الذي وقَّت لهم.

وقد جُعلت هذه الآية توطئة للنهي عن رفع الأصوات عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والجهر له بالقول، وندائه من وراء الحجرات، ولوم مَن فعل ذلك؛ لأن من خُصَّ بما خُص به النبي -صلى الله عليه وسلم- من رفيع القدر عند الله حقيق بالتهيب والإجلال، وأن يُخفَض الصوت عنده. والمراد برفع الصوت جهْرُه جهرا يتجاوز معتاد الكلام. والمعنى: لا ترفعوا أصواتكم في مجلسه وبحضرته، إذا كلَّم بعضكم بعضا، كما وقع في الحادثة التي كانت سبب النزول، وخلاصتها أن أبا بكر لما جاء وفد بني تميم إلى المدينة، اقترح على النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يؤمِّر عليهم القعقاع بن معبد، واقترح عمر أن يؤمِّر الأقرع بن حابس، فقال له أبو بكر: ما أردت إلا مخالفتي، فقال له عمر: ما أردت

مخالفتك، وارتفعت أصواتهما، فنزلت الآية. فكان عمر بعد ذلك لا يُسمع النبي الله -صلى الله عليه وسلم- حتى يستفهمه، وقال له أبو بكر: والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله، لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله. وهو دليل على شدة امتثال الصحابة شرْعَ الله، ومسارعتهم إلى التأدب بما يؤدبهم به.

وفي قوله: (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) نَهْي عن جهر آخر، هو الجهر بالصوت عند خطابه -صلى الله عليه وسلم-، وهو يشمل صنيع الذين نادوه من وراء الحجرات. ومعنى (أن تحبط أعمالكم): لئلا تحبط أعمالكم؛ أي إن الجهر له بالقول محبط للأعمال. والمراد بالحبْط عدم الانتفاع بالأعمال الصالحة بسبب ما يطرأ عليها من الكفر. والحبْط والحُبوط: فساد شيء كان صالحاً، ومنه الحَبَط، وهو مرض يصيب الإبل من أكل الخَضِر في أوَّل الربيع، فتنتفخ أمعاؤها، وربما ماتت. و يُؤْذِن الفعل "حَبِط" بأنَّ العمل الحابط كان صالحاً ففسد، أي ضاع وبطل. فهي استعارة تمثيلية: شبه ضياع الأعمال الصالحة بفَساد الذوات النافعة، ووجْه الشبه عدم انتفاع مكتسبها منها. والمراد ضياع ثوابها وما يترقَّب العامل من الجزاء عليها، والفوْز بها. أي إنَّ عدم الاحتراز من سوء الأدب مع النبي -صلى الله عليه وسلم- يبطل العمل، أو يفضي إلى الكفر؛ لأن عدم الانتهاء عن سوء الأدب معه

يعوِّد النفس الاسترسال فيه، فلا تزال تزداد منه، وينقص توقير النبي – صلى الله عليه وسلم– فيها، بالتدرج، حتى يؤول إلى عدم الاكتراث بالأدب معه؛ لأن المنتقل من سيء إلى أسوأ لا يشعر بأنه آخذ في التملي من السوء؛ لأنه يصير إلى ذلك بالتدرج، حتى تغمره المعاصي، من حيث لا يشعر، كما قال – تعالى –: (وأنتم لا تشعرون).

والأصل في الغَضِّ، في قوله – تعالى –: (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى): خفْض العين، أي ألا يُحَدَّق بها، وهو مستعارٌ لخفض الصوت والميل به إلى الإسرار. والامتحان: الاختبار والتجربة، وهو من مَحَنه: إذا اختبره، أو من "امتُحن"، أي أُخْلِص، ومنه يقال للذهب "ممتَحن"، أي مُخْلَص في النار (أي مصفًّى ومنقًّى). واللام في (للتقوى) لام التعليل، والمعنى: امتحن الله قلوبهم لأجل التقوى، أي ليكونوا أتقياء، يقال: امتُحِنَ فلان للشيء، كما يقال: جُرِّب للشيء ودُرِّب للنهوض بالأمر.

والمراد بالذين (ينادونك من وراء الحجرات) قوم من بني تميم، وفدوا على النبي –صلى الله عليه وسلم– بالمدينة في السنة التاسعة، لفداء قوم منهم، كانوا أسارى عنده، وكان الوقت وقت القائلة، ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– نائم في حجرته، فنادوه من ورائها: يا محمد، اخرج إلينا، فإن مدْحنا زين، وإن ذمَّنا شين، نحن أكرم العرب. وكانت هذه

عادةَ وفود العرب على الملوك والسادة في الجاهلية: يأتون بيت الملك أو السيد، فيطيفون به (يستديرون به ويجيئونه من نواحيه)، وينادون ليؤذَن لهم. فلما خرج إليهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، قالوا: جئناك نفاخرك؛ فائذن لشاعرنا وخطيبنا. وكانت عادة وفود العرب أن يذكروا مفاخرهم وأيامهم، ويذكر الموفود عليهم مفاخرهم. وكان أكثرُ هذا الوفد ما يزالون على الكفر، وإنما أسلموا بعد المفاخرة، وتناشُدِ الأشعار.

وإنما أراد الله -إذ نفى العقلَ عنهم- عقلَ التأدب الواجب في معاملة النبي -صلى الله عليه وسلم-. وإنما نفاه عن أكثرهم لأن منهم من لم يناده من وراء الحجرات. ثم قال: (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم)؛ لأنه يكسبهم وقارا في أهل المدينة، ويستدعي إقبال النبي -صلى الله عليه وسلم- عليهم وهو غير كاره لندائهم إياه، ورفْع أصواتهم في مسجده.

والمشهور أن قوله -تعالى-: (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) نزل في عقبة بن أبي معيط، بعثه النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى بني المصطلق من خزاعة؛ ليأتيه بصدقاتهم (زكاتهم)، فلما بلغهم مجيئُه، خرجوا لتلقيه بأنفسهم وعليهم السلاح، فظن أنهم يريدون قتله، فرجع إلى المدينة، فقال للنبي -صلى الله عليه وسلم- إنهم أرادوا قتلي، ومنعوا الزكاة.

والفسوق ما يحرِّمه الشرع من الكبائر، والفاسق في الآية: الكاذب. وقد اتفق المفسرون على أنْ ليس في الروايات المروية في هذه القصة ما يقتضي أن الوليد تعمَّد الكذب، وإنما توهَّم وظنَّ، فأخطأ، والمخطئ لا يسمَّى فاسقا، ولو كان فاسقا ما ترك النبي -صلى الله عليه وسلم- تعنيفه واستتابته. وكان خروج بني المصطلق إلى الوليد لتلقيه بأنفسهم، وعليهم السلاح سببَ ظنه ما ظنَّ؛ إذ لم يكن معهودا في خروج القبائل لتلقي عمَّال الصدقة أن يلبسوا السلاح. وقد اتفق من ترجموا الوليد على أنه كان شجاعا جوادا، وكان ذا خلق ومروءة.

وقوله: (واعلموا أن فيكم رسول الله لويطيعكم في كثير من الأمر لعنتم...) الطاعة: عمل المرء ما يؤمَر به، وما يُشار به عليه، وترك ما يُنهَى عنه، والعنت: المشقة. أي: اعلموا أن فيكم رسول الله، فاتقوا الله أن تقولوا الباطل، وتفتروا الكذب، فإن الله يخبره أخبارَكم. ولو كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعمل في كثير من الحوادث بآرائكم، ويقبل منكم ما تقولون، لعنتم، أي وقعتم في الجَهد والهلاك؛ لأنه كان يُخطِئ في أفعاله، كما لو قبل قول الوليد بن عقبة في بني المصطلق، فغزاهم، فأصبتم من دمائهم وأموالهم ما لا يحل لكم. وهذا يدل على أن بعض الصحابة زينوا للنبي -صلى الله عليه وسلم الإيقاع بهم تصديقا لقول

الوليد، وأن بعضهم تحرجوا من ذلك تأنِّيًا وتثبُّتًا في الأمر، وهم الذين قال فيهم: (ولكن الله حبب إليكم الإيمان...).

والمراد بالإيمان هاهنا أحكام الإسلام، أي إن الله حبب إليكم الدين الذي جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا حضٌّ على التسليم لما يأمر به النبي -صلى الله عليه وسلم-. والمراد أن الله دعاكم إلى حب دينه، والرضا به، فامتثلتم. وفي قوله: (وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان) تعريض بأن الذين لا يطيعون النبي -صلى الله عليه وسلم- فيهم بقية من الكفر والفسوق. والمراد: إن كنتم أحببتم الإيمان وكرِهتم الكفر والفسوق والعصيان، فلا ترغبوا في حصول ما تحبون، إذا كان الدين ينهى عنه، والفسوق والعصيان يدعوان إليه.

ونزل قول الله - تعالى -: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ...): في فتنة بين الأوس والخزرج، تجالدوا فيها بالنعال والسَّعف. والبغي: الظلم والاعتداء، والطائفة التي تبغي هي الظالمة الخارجة عن الحق، وإن لم تقاتل؛ لأن بغيها يحمل الطائفة المبغيَّ عليها أن تدافع عن حقها. والأمر في قوله (فقاتلوا التي تبغي) للوجوب، لأن هذا حكم بين الخصمين، والقضاء بالحق واجب؛ لأنه يحفظ حق المحق، ولأن ترك قتال الباغية يجر إلى استرسالها في البغي وإضاعة حقوق المبغي عليها في الأنفس والأموال والأغراض، والله لا يحب الفساد، ولأن ذلك يجرِّئ

غيرها على البغي، فقتالها زجر لغيرها. وقد تلتبس الطائفة الباغية من الطائفتين المتقاتلتين، ولذلك شرع الله الإصلاح بينهما؛ لأنه يزيل اللبس، بعد أن تُبيَّن لكلتيهما شبهتها، إن كانت لها شبهة، وتُزالَ بالحجة الواضحة، فمن أبى منهما فهو الباغي. (فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل). والعدل: هو ما يقع التصالح عليه بالتراضي والإنصاف، وألا يُضَرَّ بإحدى الطائفتين. ثم قال: (فإن فاءت فأصلحوا بينهما). وهذا إصلاح ثان، بعد الإصلاح الأول. ومعناه: أن الفئة التي خضعت للقوة وألقت السلاح قد تكون مكسورة الخاطر، لما تشعر به من انتصار الفئة الأخرى عليها، فأوجب أن يُصلَح بينهما بترغيبهما في إزالة الإحَن، والرجوع إلى أخوة الإسلام؛ لئلا تعود العداوة بينهما. وأشار قوله: (إنما المؤمنون إخوة) إلى سبب وجوب الإصلاح بين الطائفتين المتباغيتين، وهو أن الإيمان قد عقَدَ بين أهله من الأخوة ما لا يقل عن أخوة النسب، ولما كان المتعارف بين الناس أنه إذا وقع شقاق بين الأخوين لزم سائرَ الإخوة أن ينهضوا في إزالته بالصلح بينهما، كذلك كان شأن المسلمين، إذا وقع شقاق بين طائفتين منهم وجب على سائرهم السعي في الصلح بينهم.

(يأيها الذين أمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ...): ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما كانت الأخوة تقتضي أن تَحْسُن

المعاملة بين الإخوة كان مما تقتضي أن تَحسُن بين أفرادهم، فجاءت هذه الآيات منبهة على أمور من حسن المعاملة، قد يُغفَل عن مراعاتها لفشوِّها في الناس. ورُوِيَت في أسباب نزول الآيات روايات عدة، فحواها أن بعض المسلمين سخر من بعض، أو ذكره بما يكره. ومما نبهت الآيات على تحريمه من تلك الأمور السخرية، واللمز، والنبز. والسخرية: الاستهزاء، والقوم: اسم جمع لجماعة الرجال دون النساء. وإنما قال الله: (لا يسخر قوم) ولم يقل: لا يسخر بعضكم من بعض، كما قال: (ولا يغتب بعضكم بعضا) للنهي عما كان شائعا بين العرب من سخرية القبائل بعضها من بعض؛ فلذلك وجَّه النهي إلى الأقوام دون الأفراد. واللمز: ذكْر ما يعدُّه اللامز عيبا لمن يريد أذاه مواجهةً، ويكون بحالة بين الإشارة والكلام، بتحريك الشفتين بكلام خفي، يَعرِف منه المقصودُ به أنه يُذَمُّ أو يُتوَعَّد، أو يُتنقَّص، وهو غير النبز والغيبة، وكان شائعا في العرب في الجاهلية. والتنابز: نبز بعضهم بعضا، والنَّبْز: ذكْر النَّبَز، وهو لقب السوء، واللقب ما أشعر بخسة أو شرف، والمراد بالألقاب في الآية الألقاب المكروهة. وكان غالب الألقاب في الجاهلية نبزا. والنهي خاص بالألقاب التي لم يتقادم عهدها حتى صارت كالأسماء لأصحابها، وتنوسي ما كان فيها من قصْد الذم والسب.

ومعنى الاسم في (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان): الذِّكْر، كما يقال: طار اسمه في الناس بالجود أو باللؤم، أي: طار ذكره. والمعنى: بئس الذكر أن يذكر المرء بالفسوق بعد أن وُصف بالإيمان. أي إن الإيمان لا يناسبه الفسوق؛ لأن المعاصي من شأن أهل الشرك الذين لا يزعهم عن الفسوق وازع. وهذا دليل على أن السخرية، واللمز، والتنابز فسوق وظلم، يعاقب عليه، ولا يزيله إلا التوبة، كما في الحديث: "سباب المسلم فسوق".

(يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم...): والمنهيات المذكورة بعد هذا النداء من المعاملات السيئة الخفية التي لا يتفطن لها من يعامَل بها، فلا يدفعها أو يزيلها من نفس من يعامله بها. فقوله تعالى: (اجتنبوا كثيرا من الظن) يُبْطِل ما كان فاشيا في الجاهلية من الظنون السيئة والتهم الباطلة. وعن الظنون السيئة تنشأ الغيرة المفرطة والكيد، والاغتيال، والطعن في الأنساب، والمبادأة بالقتال. وفي الحديث: "إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث". والأمر باجتناب كثير من الظن دليل على أن الظنون الآثمة كثيرة، فوجب التمحيص والتحري لتمييز الظن الباطل من الظن الصادق. ومعنى كونه إثما أنه تُبنَى عليه أعمال محرمة، كالاغتياب، والتجسس، وقد يُبنَى عليه اعتقاد باطل. وإذا كان الظن أمرا، يحصل في خاطر الإنسان عن غير اختيار، فلا يعقل

التكليف باجتنابه، وإنما يراد الأمر بالتثبت فيه، وتمحيصه، والتشكك في صدقه إلى أن تتبين حقيقته. وفي الحديث: "إذا ظننتم، فلا تحقِّقُوا". ويُفهَم من أن بعض الظن إثم أن بعضه ليس كذلك، وأنَّا لم نؤمر باجتناب الظن الذي ليس بإثم.

والتجسس: البحث بوسيلة خفية، وهو من آثار الظن؛ لأن الظن يبعث عليه حين تدعو الظانَّ نفسُه إلى تحقيق ما ظنه، فيسلك طريق التجسس. ووجه النهي عنه أنه ضرْب من الكيد والتطلع على العورات، وقد يرى المتجسس من المتجسَّس عليه ما يسوءه، فتنشأ عنه العداوة والحقد، وفساد النفوس، والحرص على انتقام كليهما من أخيه. وهذا خلاف ما يجب أن يكون بين الإخوة في الله.

(ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه): والاغتياب: ذكر المرء في غيبه بما يسوءه. والاستفهام في (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) تقريري، إذ من المسلم به أن كل أحد يقرُّ بأنه لا يحب ذلك، والاستفهام التقريري لا يقع إلا على أمر مسلَّم به عند المخاطب، ولذلك أجيب عنه بـ (فكرهتموه). وقد جَعلت الآية ما هو شديد الكراهية إلى النفس، من أكل لحم الأخ الميت، محبوبا عند الآكل تفظيعا لما شُبِّه به، وهو غيبة الأخ، والرضا بها. وشُبِّه اغتياب المسلم أخاه في الإسلام في غَيبته بأكل لحم أخيه وهو

ميت، لا يدفع عن نفسه، وشُبه المغتاب بآكل اللحم، والذي اغتيب بأخ، وشُبِّهت غَيبته بالموت. والكراهة هنا: الاشمئزاز والتقذر. والمعنى: إن كنتم تكرهون أن يأكل المرء لحم أخيه ميتا، فاكرهوا نظيره، وهو اغتيابه. وجَعل الذي يؤكُل لحمُه أخا، دون غيره من الناس لأن ذلك أفظع وأشنع؛ لما يعطف المرءَ على أخيه من عواطف الرحم، ولا سيما إذا كان ميتا، وما يكون بينه من وداد، يمنع مثلهما ما هو أقل من هذا، من أصناف الأذى والإساءة. والغيبة حرام؛ لما فيها من انتهاك حرمات المسلمين، واستحلال ما حرَّم من أعراضهم، وقد تبلغ الذي اغتيب، فتقدح في نفسه العداوة لمن اغتابه؛ فيفسد ما بينهما من أخوة، ولما فيها من اشتغال المرء بأحوال الناس عما هو أهم وأنفع له.

(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير): بعد ذلك انتقلت السورة من واجبات المعاملات إلى ما يجب أن يراعيه المرء في نفسه، وأعيد النداء للاهتمام بهذا الغرض، إذ كان إعجاب كل قبيلة بفضائلها وتفضيل نفسها على غيرها فاشيا في الجاهلية، وكانوا يحقرون بعض القبائل؛ فكان ذلك يجر إلى الأحقاد والتقاتل، وتترتب عليه السخرية، واللمز، والنبز، والظن، والتجسس، فنهت الآية عما كان في الجاهلية لإزالة ما بقي منه في النفوس. وكان النداء في هذه الآية

بـ"الناس" دون المؤمنين مراعاة للمناسبة بين "الناس" والغرض من التذكير بأن أصلهم واحد، وأن التفاضل والتفاخر إنما يكون بالفضائل، وهو في الإسلام إنما يكون بالتقوى. والمراد بالذكَر والأنثى: آدم وحواء، أو نوع الذكر والأنثى، والتذكير بالخلق منهما كناية عن التساوي في أصل النوع الإنساني، ليصرف إلى اكتساب الفضائل والمزايا التي ترفع بعض الناس على بعض، وليكون تنافسهم في التقوى. والشعوب: جمع شَعْب وهو مجمع القبائل التي ترجع إلى جد واحد، من أمة بعينها، وحكمة الله من جعْل الناس شعوبا أن يتعارفوا، ولكن الناس جعلوه سبب تناكر وعدوان.

(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا...): نزلت في بني أسد، وقدموا المدينة عقب وفد بني تميم، في سنة جدب ببلادهم، فأسلموا، وكانوا يقولون للنبي -صلى الله عليه وسلم-: أتتك العرب بأنفُسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأثقال والعيال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك غيرنا من العرب. يمنون عليه ويريدون أن يعطيهم الصدقات، فأنزل الله فيهم هذه الآيات الى آخر السورة. والأعراب: سكان البادية من العرب خاصة.

وقالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم-: آمنا وهم في شك، فأنبأهم الله بما في قلوبهم، وأعلمهم أن الإيمان هو التصديق بالقلب، لا القول باللسان؛

من أجل أن يُخْلِصوا. ومعنى (لا يلتكم) لا ينقصكم، يقال: لاته يليته، مثل: باعه يبيعه. والمعنى: إن أخلصتم الإيمان، كما أمركم الله ورسوله، تقبَّل الله أعمالكم التي ذكرتم. وقوله: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون): بيان لحقيقة الإيمان الذي نفاه عنهم.

(قل أتعلِّمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم): أي: أتخبرونه بذلك بقولكم: آمنَّا. والتعبير عن الإخبار بالتعليم غرضه تشنيعهم، كأنهم وصفوه - تعالى - بعدم العلم، والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض، فلا يحتاج إلى إعلام أحد. والاستفهام للتوبيخ على محاولتهم إخفاء باطنهم عن الله المطلع على كل شيء. والمراد بالآية نهيهم عن أن يكذبوا، ويقولوا غير الذي هم عليه من الدين حقيقة، وتحذيرهم من أن يقولوا خلاف ما يعلم الله من ضمائرهم، وإعلامُهم بأنه مطلع عليه، على خلاف ما ظنوا، إذ زعموا ما زعموا من الإيمان.

(يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين): والمن: ذكر النعمة والإحسان ليراعيه المحسَن إليه. وليس بين تسمية الله ما هم عليه في هذه الآية إيمانا بعد قوله: (قل لم تؤمنوا) تناقض، وإنما هو مسايرة لزعمهم

أنهم آمنوا، والمعنى: إن فُرِض أنكم آمنتم -كما زعمتم-، فإيمانكم نعمة أنعم الله بها عليكم، فهو الذي وفَّقكم للإيمان، (إن كنتم صادقين)، فيما زعمتم من الإيمان. وخُتمت السورة بقوله - تعالى -: (إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون)، أي إن الله يعلم كل مستتر، ويبصر كل ما تعملون، في سركم وعلانيتكم، ولا يخفى عليه الصادق منكم من الكاذب.

تمرين

س١ حلل الصورة البيانية في قوله -تعالى-: (يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله)، واذكر نوعها، والمراد من الآية الكريمة.

س٢ بين عناصر التشبيه والغرض منه في وقوله تعالى: (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا).

س٣ بين معنى: السخرية، الغيبة، التنابز، اللمز، والفرق بينها.

س٤ كان النداء في السورة للذين آمنوا إلا مرة واحدة كان للناس، فما السبب؟

س٥ اذكر بإيجاز أهم ما اشتملت عليه السورة من الآداب.

س٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ.

- استخرج من الآيات:

١- فعلا من الأفعال الخمسة مرفوعا، وبين علامة رفعه.

٢- اسم "إن" وخبرها.

٣- خبرا جملة، وبين نوعها.

٤- اسما مقصورا، وبين موقعه من الإعراب، وعلامة إعرابه.

٥- خبرا تقدم على المبتدأ.

٦- فعلا ناسخا، وخبره.

٧- اسم إشارة، وبين الحركة التي بني عليها.

٨- فعلا مضارعا منصوبا، وبين ناصبه وعلامة نصبه.

٩- فعلا مجزوما، واذكر جازمه، وعلامة جزمه.

١٠- فعل أمر، وأعربه.

١١- ضميرا منفصلا، وبين موقعه من الإعراب.

١٢- ثلاثة ضمائر متصلة ذات مواقع إعرابية مختلفة.

١٣- جملة اسمية، الخبر فيها مفرد.

١٤- ظرفا، وبين نوعه.

١٥- مفعولا به.

١٦- فعلا ماضيا مبنيا على الضم، وبين السبب.

١٧- اسما موصولا، واذكر موقعه من الإعراب.

١٨- اسما مجرورا بحرف جر، وآخر مجرورا بالإضافة.

١٩- صفة، وأعربها هي وموصوفها.

٢٠- مثنى، واذكر موقعه من الإعراب، وعلامة إعرابه.

س٧ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ
مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ
أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ
بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ
ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم
بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا
خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ
ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا
يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا
يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا
ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟
وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾
يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ
ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾

إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ.

أ/ استخرج من الآيات:

١- جمع مذكرا سالما، وأعربه.

٢- فعلا جائز التأنيث، واذكر السبب.

٣- فعلا نصب مفعولين، وبينهما.

٤- منادى، وبين نوعه، وأعربه.

٥- الأفعال المضارعة المعربة، وأعربها.

٦- فعلا مضارعا مبنيا، وبين سبب بنائه.

٧- فعلا ماضيا مبنيا على السكون، واذكر السبب.

٨- أفعال الأمر، وبين العلامة التي بنيت عليها.

ب- أعرب ما فوق الخط.

ج- (وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ).

- (قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّا).

- استخرجت من الآيات الأفعال المؤنثة، وبين حكم تأنيثها، مع التعليل.

ثانيًا . حديث الإسراء والمعراج:

حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: " لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ مَسْجِدِ الكَعْبَةِ، أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وَهُوَ نَائِمٌ فِي المِسْجِدِ الحَرَامِ، فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ، فَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةً أُخْرَى، فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ، وَتَنَامُ عَيْنُهُ وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلاَ تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حَتَّى احْتَمَلُوهُ، فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بِئْرِ زَمْزَمَ، فَتَوَلاَّهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ، فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ، فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ، حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ، ثُمَّ أُتِيَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ(١) مِنْ ذَهَبٍ، مَحْشُوًّا إِيمَانًا وَحِكْمَةً، فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَغَادِيدَهُ – يَعْنِي عُرُوقَ حَلْقِهِ – ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَضَرَبَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا فَنَادَاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ. قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مَعِيَ مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَمَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلا، فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ، لاَ يَعْلَمُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ فِي الأَرْضِ، حَتَّى

---

(١) إناء يشرب فيه.

يُعْلِمَهُمْ، فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ، وَقَالَ: مرحبا وَأَهْلاً بابني، نِعْمَ الابن أنت، فَإِذَا هو فِي السَّمَاءِ الدنيا بِنَهَرَيْنِ يَطَّرِدَانِ(١)، فَقَالَ: مَا هَذَانِ النَّهَرَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا النِّيلُ وَالفُرَاتُ، عُنْصُرُهُمَا، ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ بِنَهَرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ(٢)، فَضَرَبَ يَدَهُ، فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ(٣)، قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟، قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السماء الثانية، فَقَالَتِ الملائكة له مثل مَا قالت لَهُ الأولى: مَنْ هَذَا، قال جبريل، قالوا: وَمَنْ معك؟ قَالَ: محمد -صلى الله عليه وسلم-، قَالُوا: وَقَدْ بُعِثَ إليه؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: مرحبا به وأهلاً، ثمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السماء الثالثة، وقالوا له مثل ما قالت الأولى وَالثَّانِيَةُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى الرَّابِعَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الخَامِسَةِ، فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَقَالُوا لَهُ

---

(١) يجريان.

(٢) نوعان من الجواهر النفيسة.

(٣) جيد شديد ذكاء الريح، أي: طيب الرائحة.

مِثْلَ ذَلِكَ، كُلُّ سَمَاءٍ فِيهَا أَنْبِيَاءُ قَدْ سَمَّاهُمْ، فَأوعَيْتُ(١) مِنْهُمْ إِدْرِيسَ فِي الثَّانِيَةِ، وَهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ، وَآخَرَ فِي الخَامِسَةِ لَمْ أَحْفَظِ اسْمَهُ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ، وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ، بِتَفْضِيلِ كَلاَمِ اللَّهِ، فَقَالَ مُوسَى: رَبِّ، لَمْ أَظُنَّ أن يُرْفَعَ عليَّ أحد، ثُمَّ علا به فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلا اللَّهُ، حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ المُنْتَهَى، وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ العِزَّةِ، فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى اللَّهُ فِيمَا أَوْحَى إِلَيْهِ: خَمْسِينَ صَلاَةً عَلَى أُمَّتِكَ، كُلَّ يوم وَلَيْلَةٍ، ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسَى، فَاحْتَبَسَهُ(٢) مُوسَى، فَقَالَ: يَا محمد، مَاذَا عَهِدَ إِلَيْكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: عَهِدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَارْجِعْ، فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ وَعَنْهُمْ، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى جِبْرِيلَ، كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ: أَنْ نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ، فَعَلاَ بِهِ إِلَى الجَبَّارِ، فَقَالَ، وَهُوَ مَكَانَهُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنَّا؛ فَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ هَذَا، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى، فَاحْتَبَسَهُ، فَلَمْ يَزَلْ

---

(١) حفظت.

(٢) وقفه عنده.

يُرَدِّدُهُ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ احْتَبَسَهُ مُوسَى عِنْدَ الخَمْسِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ لَقَدْ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمِي عَلَى أَدْنَى مِنْ هَذَا، فَضَعُفُوا، فَتَرَكوه، فَأُمَّتُكَ أَضْعَفُ أَجْسَادًا وَقُلُوبًا وَأَبْدَانًا وَأَبْصَارًا وَأَسْمَاعًا، فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ، كُلَّ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ النبي – صلى اللهُ عليه وسلم– إِلَى جِبْرِيلَ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ، وَلاَ يَكْرَهُ ذَلِكَ جِبْرِيلُ، فَرَفَعَهُ عِنْدَ الخَامِسَةِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، إِنَّ أُمَّتِي ضُعَفَاءُ: أَجْسَادُهُمْ، وَقُلُوبُهُمْ، وَأَسْمَاعُهُمْ، وَأَبْصَارُهُمْ، وَأَبْدَانُهُمْ؛ فَخَفِّفْ عَنَّا، فَقَالَ الجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: إِنَّهُ لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُهُ عليك فِي أُمِّ الكتاب، قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فهي خمسون فِي أُمِّ الكتاب، وهي خمس عليك، فَرَجَعَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: كَيْفَ فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: خَفَّفَ عَنَّا: أَعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، قَالَ مُوسَى: قَدْ وَاللَّهِ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ على أَدنى من ذلك فَتَرَكُوهُ، ارجع إِلَى رَبِّكَ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ أَيْضًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مُوسَى، قَدْ – وَاللَّهِ – اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ، قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللَّهِ، قَالَ: وَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الحَرَامِ ".

الإسراء هو: ذهاب النبي –صلى الله عليه وسلم– من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والمعراج: عروجه من المسجد الأقصى إلى السماوات العلا. وهما حادثتان معجزتان، وإن كان وجه الإعجاز في

المعراج أوضح؛ لأنه أشد مخالفة للعادة. وقد تعددت روايات الحديث، ووقع بينها خلاف في بعض الألفاظ، وحذْفٌ وزيادةٌ في بعض الحوادث، كما وقع الخلاف بين العلماء في حقيقة الإسراء والمعراج، أكانا في ليلة واحدة، فِي الْيَقَظَة، بجسد النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وروحه بعد الْمَبْعَثِ، أم كانا في المنام، بالروح دون الجسد. وإلى الرأي الأول ذهب جمهور علماء الْمُحَدِّثِين، والفقهاء، وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَتَوَارَدَتْ عليه ظواهر الأخبار الصحيحة.

ولن نطيل الوقوف عند الحديث شرحا وتحليلا؛ لأن ذلك ليس مما نعتمد هاهنا، وإنما سنُلِمُّ به إلماما، يوضح مجمل معناه؛ إذ كان شرحه وتحليله مما لا يتسع له صدر هذا المقرر؛ لأنه يقتضي الرجوع إلى الروايات المختلفة، ودراستها والموازنة بينها، ودراسة آراء العلماء والمحدِّثين في صحة بعض الروايات والأحاديث، والتعريج على بعض القضايا التي لا تهمنا هاهنا.

لقد فتح الحديث للمسلمين بابا على أمور من عالم الغيب، ما كانوا يعرفون عنها شيئا، كمنازل الأنبياء في السماوات، وبعض ما في السماوات من المخلوقات، كالأنهار، وقصور اللؤلؤ والزبرجد، ومكان الكوثر، وبعض صفاته، وإن كان ذلك مما عرض له الحديث بغاية الإيجاز. ولعل مما أراد الله – تعالى – بالعروج بالنبي -صلى الله عليه

وسلم- إلى السماوات إطلاعَه على عظيم قدره عنده، ومنزلته في الأنبياء، فضلا عما أراد من إطلاعه على ما شاء من آياته الكبرى، وهو الغرض الرئيس، كما يبدو من قوله - تعالى -: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا).

وقد اختلفت روايات الحديث فيما عرضت له من الأمور، فذكر بعضها ما لم يذكر بعض، ولكن الرواية التي بين أيدينا خلت من كثير من القصص الجانبية التي وردت في غيرها من الروايات، كالمشاهد التي مرَّ -النبي صلى الله عليه وسلم- بأصحابها، وهم يعذبون عذابا يلائم المعصية التي كانوا يرتكبون في الدنيا، كقوله -صلى الله عليه وسلم-: "مررتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي على قوم تُقْرَضُ شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: مَنْ هؤلاءِ؟ قِيلَ: هؤلاء خطباء من أهل الدنيا مِمَّنْ كانوا يأمرون الناس بِالْبِرِّ وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون"، وقوله: "أَتيت ليلة أُسْرِيَ بِي على قوم بطونهم كالبيوت، فِيهَا الحيات تُرَى مِنْ خارج بطونهم، فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أَكَلَةُ الرِّبَا". لكن الرواية التي بين أيدينا أعرضت عن تلك المشاهد، وهي مشاهد من الإسراء، أي إن النبي -صلى الله عليه وسلم- رآها وهو في طريقه إلى المسجد الأقصى، واقتصرت الرواية التي بين أيدينا من الإسراء على

مبتدئه من مكة، وما سبقه من شق الصدر، وغسْله بماء زمزم، وحشوه بالإيمان والحكمة. وإن كان ما ورد في أول الحديث من أمر شق الصدر ليس من حديث الإسراء، في الحقيقة، وإنما هو من حديث آخر، خلطه راوي الحديث بحديث الإسراء، "وهو المشهور الصحيح"، كما قال القاضي عياض. وإنما كان شُقُّ صدر النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو رضيع عند حليمة السعدية، في أول عامه الثالث، ولم يشقَّ ليلة الإسراء.

وإذا صح ذلك كان الحديث الذي بين أيدينا مقصورا على المعراج دون الإسراء، وكان ما يفهم من ظاهره أن المعراج كان من مكة، ولم يكن من بيت المقدس، على خلاف ما ورد في روايات أخرى، يبدو أنها متممة لهذه الرواية. ويبدو أن حوادث المعراج كانت أكثر مما ورد في الحديث، كما يفهم من قول الله -تعالى-: (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى)، لكن الحديث اقتصر على ما كان للنبي -صلى الله عليه وسلم- من الحوادث مع بعض الأنبياء؛ ولعل ذلك مِنْ أنَّ ما أراه الله من الآيات كان خاصا به، وليس مما أُمر بتبليغه، أو الحديث عنه. وكان ما كان بينه وبين الأنبياء موجزا، لا يتجاوز ذكر السماء التي فيها النبي، وسلامه عليه، وترحيبه به، وقوله: "نِعْمَ المجيء جاء"، أي: جاء، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ مجيؤه. وهو يدل على

حفاوة الأنبياء به، وتعظيمهم إياه، وأنهم هم والملائكة كانوا على علم به، وبمقامه عند ربه، وأنْ سيُعرَج به إلى السماء، كما يبدو من سؤال الملائكة: وَقَدْ بُعِثَ إليه؟. وهو مما أراد اللَّهَ إطلاعَه عليه، إذ عرج به إلى السماوات.

وأطول حوار بينه وبين الأنبياء ما كان بينه وبين موسى -عليه السلام- من حضه على مراجعة الله في عدد ما فرض من الصلوات؛ إذ كان موسى ذا تجربة، وكانت أمته قد كُلِّفَتْ مِنَ الصَّلَوَاتِ ما لَمْ تُكَلَّفْ أمة غَيْرُهَا، فَثَقُلَت عليها، فأشفق عَلَى أُمَّةِ سيدنا مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم- من مثل ذلك. هذا إلى ما أشار إليه موسى -عليه السلام- من أن أمة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- أضعف من بني إسرائيل، وإذا عجز الأقوى، كان الأضعف أعجز. وكان ذلك من نصْح موسى -عليه السلام- لهذه الأمة، وإشفاقه عليها. وكان تخفيف الله عن هذه الأمة دليلا على لطفه بها، وتفضيله إياها على سائر الأمم، إذ جعل ما فرض عليها أقل، وثوابه أعظم.

ومما هو جدير بالتأمل ما ورد في الحديث من أن النيل والفرات في السماء الدنيا، كما في هذه الرواية، وينبعان من أَصْلِ سِدْرَةِ المُنْتَهَى، فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، كما هو المشهور. ومنابع النهرين معروفة، وهي -كغيرها من منابع أنهار الدنيا - في الأرض كلها، وليس في الأرض نهر

ينزل من السماء. وقد حمل بعض العلماء هذا الكلام على ظاهره، كما فعل النَّوَوِيُّ، إذ قال: "إن أصل النيل والفرات من الجنة، وإنهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى، ثم يسيران حَيْثُ شاء الله، ثم ينزلان إلى الأرض، ثم يسيران فيها، ثم يخرجان منها، وهذا لا يمنعه العقل، وقد شهد به ظاهر الخبر، فَلْيُعْتَمَدْ"، غير أنه -إن كان لا يخالف العقل- يخالف الحس، ومخالفته إياه تجعله بعيدا، ولا سيما أن الحديث ليس قطعي الدلالة على هذا المعنى. وقال القاضي عِيَاض إن الحديث يدل على أن أصل سدرة المنتهى في الأرض؛ لأنه قال إن النيل والفرات يخرجان من أصلها، وهما بالمشاهدة يخرجان من الأرض، فيلزم منه أن يكون أصل السدرة فِي الأرض. وإذا كان النيل والفرات يخرجان من الأرض بالمشاهدة، فإن سدرة المنتهى ليست في الأرض بالمشاهدة، وإنما هي في السماء، كما ورد في الحديث؛ فينبغي أن يحمل الحديث على معنى لا يخالف المشاهدة، كما فعل الْقُرْطُبِيُّ، فقد قال: "إنما أُطْلِقَ عَلَى هَذِهِ الأَنْهَارِ أَنَّهَا مِنَ الجنة تشبيها لها بأنهار الجنة؛ لِمَا فيها من شدة العذوبة، وَالحُسْنِ والبركة". وقَالَ بعض العلماء إن من الممكن أن يكون في الجنة نهرين، يوافق اسماهما اسْمَيْ النيل والفرات المعروفين في الدنيا. وقال ابن كثير إن كلمة "عنصرهما" الواردة في الحديث يراد بها "مادتهما، أو شكلهما، وعلى صفتهما ونعتهما"، وقال إن المراد بالأنهار التي ذُكِر

أنها في الجنة (النيل والفرات، وسيحون وجيحون) أنها تشبه أنهار الجنة في صفائها، وعذوبتها، وجريانها، وأنها من جنسها في هذه الصفات ونحوها، وهو كالحديث: "العجوة من الجنة"، أي تشبه ثمر الجنة؛ لا أنها مجتناة منها، فإن الحسَّ يشهد بخلاف ذلك، فتعيَّن أن المراد غيرُه. ومثل هذا قوله -صلى الله عليه وسلم-: "شدة الحر من فيح جهنم"، أي من جنسه، وإذا صح ذلك انتفت مخالفة ظاهر الحديث للحس، وصار معناه أن صفة النهرين اللذين في الجنة كصفة النيل والفرات، لا أن النهرين عينيهما ينبعان من الجنة، ولا أنهما من أنهارها حقيقة؛ فإن أصل منبعهما معروف في الأرض.

تمرين

س١ ما الفرق بين الإسراء والمعراج، ومن أين بدأ كل منهما، وإلى انتهى؟.

س٢ بم كان الإسراء والمعراج: بالروح والجسم معا، أم بالروح دون الجسم؟

س٣ يفهم من ظاهر الحديث أن المعراج كان من مكة، ولم يكن من بيت المقدس وضح حقيقة ذلك، وبين سبب ذكر شق الصدر في أول الحديث.

س٤ ورد في أول سورة الإسراء سبب بالإسراء بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، بين ذلك، مستدلا عليه من السورة.

س٥ ورد في الحديث أن النيل والفرات نهران من أنهار الجنة. ماذا يراد بأنهما من أنهارها؟ بيِّن ذلك بالتفصيل.

س٧ من النبي كان سبب تخفيف الصلاة، ونقصها من خمسين صلاة إلى خمس صلوات؟ ولماذا لم يُشِرْ غيره من الأنبياء على النبي -صلى الله عليه وسلم-، بسؤال الله التخفيف؟

س٨ استخرج ما في الحديث من العدد، وبين تمييزه، وسبب تذكيره أو تأنيثه.

س٨ أعرب ما فوق الخط من الحديث.

ثالثا– الشعرة البيضاء، لمصطفى لطفي المنفلوطي[1]

مررتُ صباحَ اليومِ أمامَ المرآةِ، فَلَمَحْتُ في رأسي شعرةً بيضاءَ، تلمعُ في تلكَ اللمَّةِ السوداءِ، لمعانَ شرارةِ البرقِ في الليلةِ الظلماءِ. رأيت الشعرة البيضاء في مفرقي؛ فارْتَعْتُ لمرآها، كأنما خُيِّلَ إليَّ أَنَّها سيفٌ جرَّدهُ القضاءُ على رأسي، أو عَلَمٌ أبيضُ، يحملُهُ رسولٌ، جاءَ من الغيبِ، يُنذِرُني باقترابِ الأجلِ، أو يأسٌ قاتل، عرض دون الأمل، أو جذوة نار، عَلِقت بأهداب حياتي علوقَها بالحطب الجزل، ولا بد لها، مهما ترفقت في مشيتها، واتأدت في مسيرها أن تبلغ مداها، أو خيطٌ

---

(١) ولد مصطفى لطفي المنفلوطي عام ١٢٩٣ هـ، بمنفلوط من أعمال أسيوط، من أسرة حسينية، فحفظ القرآن في المكتب، ثم درس إلى الأزهر. وكان كاتبا مطبوعا، يتنكب الصنعة، ولم يكن يقلد أحدا. وكتب أصنافا من النثر، كالمقالة، والقصة القصيرة. أشهر مؤلفاته: النظرات، والعبرات، وفي سبيل التاج، ومختارات المنفلوطي من أشعار المتقدمين ومقالاتهم. وترجم عن الفرنسية "الفضيلة"، و"مجدولين"، و"الشاعر"، وهي روايات. وتوفي عام ١٩٢٤م.

من خيوط الكفن الذي تنسجه يد الدهر، وتعده لباسا لجثتي عند ما تجردها من لباسها يد الغاسل.

أَيَّتُها الشعرةُ البيضاءُ، ما رأيتُ بياضًا أَشبَهَ بالسَّوادِ من بياضِكِ، ولا نُورًا أَقْرَبَ إلى الظلمةِ من نورِكِ. لقد أبغضتُ من أجلكِ كلَّ بياضٍ، حتى بياضَ القمرِ، وكلَّ نورٍ حتى نورَ البصرِ، وأحببتُ فيك كلَّ سوادٍ حتى سوادَ الغربان، وكلَّ ظلامٍ حتى ظلامَ الوجدان.

أَيَّتُها الشعرةُ البيضاءُ، ليتَ شِعري من أيِّ نافذةٍ خَلَصتِ إلى رأسي؟ وفي أيِّ مسلكٍ من مسالك الدهر مشيتِ إلى فَوْدي؟. أَيَّتُها الشعرةُ البيضاءُ، كيف طابَ لكِ المقامُ في هذه الأرضِ الموحشةِ التي لا تجدينَ فيها أنيسًا يسامِرُكِ؟ ولا جليسًا يساهرُكِ؟ وكيفَ لم يُرَعْ قلبُكِ لمنظرِ هذا الليلِ الفاحمِ، ولم يَعْشُ بصرُكِ فى هذا الظلامِ القاتم؟.

أَيَّتُها الشعرةُ البيضاءُ، لقد عَيِيتُ بأمرك، وبَعِلَت بحملك(١)، وأصبحت لا أعرفُ وجهَ الحيلةِ في البُعْدِ عنكِ، والفرارِ من وجهكِ: لا ينفعُني معكِ أنْ أنزعَكِ من مكانكِ؛ لأنَّكِ لا تلبثينَ أَنْ تعودي إليه، ولا يُنقذُني منكِ أنْ أخْضِبَكِ بالسَّوادِ؛ لأنَّكِ لا تلبثينَ أَنْ تنصُلي. ولأني لا أُحبُّ أَنْ أَجمعَ على نفسي بين مصيبتين: مصيبةِ الشيب، ومصيبةِ الكذب.

---

(١) بعل بالشيء: ضاق به ذرعا.

أَيَّتُها الشعرةُ البيضاءُ، يخيَّلُ إلي، وأنا أنظر إليك، أَنَّك من ذواتِ الحيلةِ والدَّهاءِ، والكيدِ والخبثِ، وأنَّك تهمسين في آذانِ أخواتِك السودِ اللواتي بجانبكِ، تحاولين إغراءَهُنَّ بالتشبُّهِ بِكِ، والتردِّي بردائِكِ، وكأنِّي بكِ وقد أشعلتِ في هذه البيئةِ الهادئةِ المطمئنةِ حربًا شعواءَ، وفتنةً عمياءَ، يختلطُ فيها الرامحُ بالنَّابلِ، والدَّارعِ بالحاسرِ، ويهلكُ فيها القاعدُ والقائمُ، والمظلومُ والظالمُ. إن كان هذا مصيرَك، فسيكونُ شأنُكِ شأنَ ذلك السائحِ الأبيضِ الذي ينزل بأمَّةِ الزِّنجِ مستكشفًا، فيصبح مستعمرًا، ويدخل أرضها سِلمًا ويفارقها حربًا، فأسأل الله لرأسي العافية منك، ولأمة الزنج السلامة من صاحبك. فكلاهما مشؤوم الطلعة فى مقامه وارتحاله، وكوكب النحس فى وقوفه وتسياره.

أيتها الشعرة البيضاء، ما أنت؟ وما شأنك؟ وما وُفودك إلي؟ وما مكانك مني؟ وما مقامك عندي؟ إن كنتِ ضيفًا فأينَ استئذان الضيف، وتلطفه، وتجمُّله، وتودده؟ وإن كنتِ نذيرًا، فأنا أعلم من الموت وشأنه ما لا أحتاج معه إلى نذير. فلم يبقَ إلاَّ أَنْ تكوني أوقحَ الخلائقِ وجهًا، وأصلبَها خدًا. وأنك قد نزلت من السماجة والفضول منزلةً، لا أرى لكِ فيها شبيهًا إلا تلك الحيةَ التي تلجُ كلَّ جُحْرٍ من أجحار الهوام والحشرات، تعدُّه جحرها، وتحسبُهُ بيتها. أَيبلغُ بكِ الشأنُ وأنتِ التي يضربون الأمثالَ بدقتها وخفائها، ويبعثون الملاقط والمقاريض وراءها، فلا يكادون يعرفون السبيل إلى مدارجها ومكانها، أن تملئي من الرعبِ قلبًا، لا يروعُهُ السيفُ المجرَّدُ، ولا السَّهمُ المسدَّدُ؟

أَيَّتُها الشعرةُ البيضاءُ، هل لكِ أن تتجاوزي عما أسأتُ بهِ إليكِ في إطالةِ عتْبِكِ، واستثقالِ ظلِّكِ، فلقد رجعتُ إلى نفسي، فعلمتُ أَنَّك أكرمُ الخلائقِ عندي، وأعظَمُها شأنًا في عيني. هنيئًا لكِ رأسي مَصيفًا، ومرتعًا، وهنيئًا لكِ فودي مَرادًا ومسرحًا! فأنتِ رسول الموت الذي ما زلت أطلبه، منذ عرفته، فلا أجد له سبيلا، ولا أعرف له رسولا. ما الذي يحملُه لكِ فى صدرهِ من الحقدِ والموجِدةِ رجلٌ لم ينعمْ بشبابِهِ؛ فيحزن على ذهابه، ولم يذق حلاوة الدنيا؛ فيجزع لمرارة الممات، ولم يستنشق نسمات السعادة غصنًا رطبًا؛ فيأسى عليها عودًا يابسًا؟

ما الذي ينقمه من شؤونك رجل، يعلم أنك وحي الآمل الذي يبشِّره بقرب النجاة من حياة، ليس فيها من السعادة والهناءة إلا لحظات قليلة، يكدرها ما يحيط بها من الهموم والأحزان، كما تكدر أنفاس الحزن الحارة صفحة المرآة. أليسَ كلُّ ما أعدُّهُ عليكِ من الذنوبِ أَنَّكِ طليعةُ الموتِ، والموتُ هو الذي يخلِّصُني من منظرِ هذا العالمِ المملوءِ بالشرورِ والآثامِ، الحافلِ بالآلامِ والأسقام؟ الذي لا أغمضُ عيني فيه إلاَّ لأفتحَها على صديقٍ، يغدرُ بصديقهِ، وأخٍ يخونُ أخاه، وعشيرٍ، يحدِّدُ أنيابَهُ؛ ليمضغَ عشيرَهُ، وغنيٍّ، يضنُّ على الفقيرِ بفتاتِ مائدتِهِ، وفقيرٍ، يقترحُ على الدَّهْر حتى بلغة الموت، فلا يظفرُ بأمنيَّتِهِ، ومَلِكٍ لا يفرِّقُ بين رعيتِهِ وماشيتِهِ، ومملوكٍ لا يميِّزُ بين مُلْك المِلكِ وربوبيتهِ، وقلوبٍ تضطرمُ حقدًا على غيرِ طائلٍ، ونفوسٍ، تتفانى قتلاً على لونٍ حائلٍ، وظلٍّ زائلٍ، وغرضٍ باطلٍ، وعقولٍ، تتهالكُ وجدًا على نارٍ تحرقُها، وأنيابٍ تمزِّقُها،

وعيونٍ حائرةٍ في رؤوسٍ طائرةٍ، تنظُرُ، ولا ترى شيئًا مما حولها، وتلمعُ ولا تكاد تُبصرُ ما أمامَها. إنْ كان هذا هو ظاهرَ ذنبِك عندي، فاستكثري من ذنوبِك، فإنِّي لكِ مِنَ الغافرين.

أَيَّتُها الشعرةُ البيضاء، مرحبًا بكِ اليومَ، ومرحبًا بأخواتِكِ غدًا، ومرحبًا بهذا القضاءِ المختبئِ وراءَكِ، أو الكامن في أطوائك، ومرحبًا بتلكَ الغرفةِ التي أَخلو فيها بربي، وآنَسُ فيها بنفسي، من حيثُ لا أسمعُ حتى دويَّ المدافعِ، ولا أرى حتى غبارَ الوقائعِ.

أهــلا بوافــدة للشــيب واحــدة وإن تــراءت بشــكل غــير مــودود

عرض ونقد

الشعرة البيضاء كناية عن باكورة الشيب، وما تؤذن به من تصرُّم طور من أطوار الحياة، هو أحبها إلى النفس؛ لأنه طور الإقبال، والصحة والفتوة، ونزولِ طور آخر، بضده في ذلك كله، إنه طور الشيخوخة، وما يصاحبه من إدبار ووهَن، وما يؤذن به من تصرُّم العمر، وقُرْب الأجل، ووشْك الرحيل إلى الدار الآخرة. وهذا المعنى الذي يلازم الشيخوخة في أذهان الناس هو سبب الحزن الشديد، والبكاء الطويل على الشباب في أشعار الشعراء، مما أبان عن بعضه أبو العتاهية في قوله الشهير:

عَريتُ من الشباب، وكنت غُصنًا كما يعرَى من الورق القضيبُ
ونُحتُ على الشباب بدمع عيني، فما نفع البكاءُ ولا النحيبُ
فياليت الشباب يعود يوما؛ فأخبرَه بما فعلَ المشيبُ!

وقد أبان أول المقالة عن ارتياع الكاتب من رؤية أول شعرة بيضاء برأسه، إذ كانت – على صغرها، وعدم اكتراث الناس بها – حدثا جللا في حياته؛ لأنها نذير الموت:

والموتُ أعظمُ حادثٍ مما يَمُرُّ على الجبلَّهْ

لأنه نهاية الإنسان، في الحياة الدنيا، وإن كان يعتقد أنه بداية حياة أخرى، قد تكون خيرا منها، غير أن اعتقاده ذلك لا يزهِّده في الدنيا، ولا يحبِّب إليه الانتقال منها إلى الدار الأخرى، أما أولا فلأنه لم يرها، والناس أعداء ما جهلوا، وأما ثانيا، فلاعتقاده أن ما يترك وراءه في الدنيا، من أهل، وأحباب، ومتاع، لا يعوضه ما يجد في تلك، وأما ثالثا،

فلما دون تلك الدار من هول الموت والقبر، والمصير الذي يجهله ويجهل حقيقته. من أجل ذلك كان الموت في ثقافات الناس قرين الانتهاء إلى العدم المحض، وإن كان في عقيدة المسلمين، كما قال المعري:

خُلِقَ الناس للبقاء، فضلَّت أمةٌ يحسبونهم للنَّفاد

إنما يُنقَلُون من دار أعمال إلى دار شِقوة أو رشاد

ومما يدل على هذه الحقيقة ما أبان عنه المنفلوطي من بغض الشعرة البيضاء في مقالته هذه، وهو بغْض، تجاوزها إلى كل شيء تجمعها وإياه صفة، كالبياض والنور، وإن كان هذان -في الأصل حبيبين إليه وإلى غيره من الناس، كبياض القمر، ونور البصرِ، وحبَّب إليه كل ما بضد لونها، وإن كان -في الأصل- بغيضا إليه وإلى غيره من الناس، كسواد الغربان، وظلام الوجدان. وهو يدل على أشدِّ ما يُتخيَّل من بُغْض الشعرة البيضاء، وما ترمز إليه من المعاني التي أشرنا إليها، وإن كان البياض في نفسه أحب الألوان إلى الناس؛ لأنه رمز النقاء، والطهر، والسمو، والجلال، والجمال، والضياء، إلخ، وضدُّ ما يُكرَه من هذه وغيرها من الأشياء والخِلال.

وإنما كان امتعاضه من الشيبة الأولى على هذا الوجه لأنها طليعةٌ لما بعدها، ومقدمة له، فلذلك يكون لها من الأثر في النفس ما لا يكون لما بعدها، ومن دأْب المصيبة الأولى أن تهوِّن ما يليها، وتجعل وقعه على النفس أيسر.

وبعد أن أبان عما أبان عنه من تلك الكراهية أخذ يؤنب الشعرة

على حلولها برأسه، ويتعجب: كيف خَلَصتْ إليه، ورضيت بالإقامة به غريبة بين شعره الأسود الذي ليس فيه ما يشاكلها. وأخذ يفكر في حيلة، تخلِّصه منها، مما يحتال به الناس لستر الشيب، كالنتف، والخضاب، فإذا هي حيل قصيرة العمر، ولا تلبث الشيبة أن تكشفها، بالعفاء، إن نُتِفَت، والنصولِ، إن خُضِبت، هذا إلى أَنَفِه من أن يجمع بين منقصتين: الشيب والكذب. من أجل ذلك آثر الاستسلام لها، وألا ينازعها ما أرادت برأسه، وأن يخلي بينها وبينه، تصيب منه ما تشاء، على ما يشقُّ عليه، ولعلمه بأنْ ستفعلُ به ما يفعل "السائح" الأوربي بإفريقية، يدخلها مستكشفا، فيما يُرِي أهلَها، وإنما هو طليعة احتلال، يدخل سِلْما، ثم لا يخرج إلا بحرب. وإنما خصَّ "السائح" الأوربي الذي يحتل إفريقية، دون "السائح" الأوربي الذي يحتل غيرها من البلاد لما بين لونه والشيبة من توافق في البياض، وبين إفريقية وسائر شعره من توافق في السواد، ثم ما ينتهي به مَنْ نزل به الشيب من ضعف ووهن وما تنتهي به البلاد التي يحتلها الأوربي من فساد.

ثم ينتقل إلى عتاب الشعرة البيضاء، فيقول إنها، إن كانت ضيفا، فقد نزلت به من غير استئذان ولا تلطُّف، كما يستأذن الضيف ويتطلف قبل النزول، وإن كانت نذيرَ الموت، فهو يعلم من أمر الموت ما يغنيه عنها. فما هي – إذن – إلا نازل وقح، صليب الوجه، لا يشبه إلا الحية التي تلج جحور الهوام والحشرات، وتعدُّها بيتها. ويَعجَب مما تبلغ الشيبة من إرعاب الشجعان الذين لا تروعهم السيوف المجردة، ولا الرماح المسددة،

على أنها مضرِب المثل في الضعف والخفاء. وإنما ذلك كنايةٌ عن سطوة الموت الذي هي مقدمته ونذيره، وليس للموت مدفع: (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون).

ثم انتقل من العتاب، والتسخط، والاستثقال، والهجاء إلى ضد ما كان فيه، فرحَّب بالشيبة، من غير توطئة، وأراها الاستبشار بمقدمها، وهنأها بالمحلِّ الذي نزلت به من رأسه؛ لأنها رسول ربه إليه بوشك الرحيل من الحياة، أصلِ البلاء، ومصدر الشقاء، ومنبت الهموم والأحزان. فقال إن امرَأً مثله، لم ينعم بشبابٍ، ولا ذاق حلاوة الدنيا، ولا استنشق نسمات السعادة، لجدير بألا يجزع من الموت، أو يأسى على شباب لم ينعم به، أو يأسف على حياة، لم يذق منها إلا زقومها، وألا يضيق ذرعا بشيبة كلُّ ذنبها إليه أنها نذير خلاص من عالم الشرور والآثام والآلام والأسقام. وإن ذنبًا هذه عاقبته لجدير بأن يَستكثر منه، وجديرٌ من يأتيه بالصفح والغفران.

وختم المقالة بضد ما بدأها به: الترحيب بالشعرة البيضاء، وبما يتبعها من أخوات، وبالموت الذي يختبئ وراءها. وإذا كان خوف الموت سبب قِلاَه الشعرة البيضاء في أول المقالة، فهو سبب حبه إياها في آخرها. وقال إن ضجعته في القبر، لا يسمع، ولا يرى، حبيبة إليه؛ لأنها تنقذه من عالم ليس فيه إلا الهم والحزن. وليس بين مقدمة المقالة وخاتمتها تناقض، ولا تغيُّر في النظر إلى الشيب، وإنما كان أولها بيانا لرأْي الناس في الشيب، وآخرها بيانا لرأيه هو فيه، وفي الموت والحياة والأحياء.

ومضمون الشق الأول من المقالة مبثوث في أشعار الأوائل، كقول المتنبي:

ضَيفٌ أَلَمَّ بِرَأسي غَيرَ مُحتَشِمِ وَالسَيفُ أَحسَنُ فِعلاً مِنهُ بِاللِمَمِ
ابعِد بَعِدتَ بَياضاً لا بَياضَ لَهُ لأَنتَ أَسوَدُ في عَيني مِنَ الظُلَمِ

وقول أبي إسحاق الإلبيري:

بَصُرْتُ بِشَيْبةٍ وخَطَتْ نَصِيلي فَقُلْتُ لَهُ: تَأَهَّبْ للرحيلِ
ولا يَهُنِ القَليلُ عليك مِنْها فَمَا في الشَّيب، ويحك مِن قليل!
وَكَمْ قَدْ أَبْصَرَتْ عيناك مُزْنَا أَصَابَكَ طَلُّها قَبْلَ الهُمُولِ
وكم عَايَنْتَ خَيْطَ الصُّبْح يَجْلو سوادَ اللَّيْل كالسَّيف الصَّقِيلِ
ولا تَحْقِرْ بنُذرِ الشَّيب واعْلَمْ بِأَنَّ القَطْرَ يَبْعثُ بالسِّيولِ

وقول الآخر:

وزائرةٍ للشيبِ لاحتْ بعارضي
فبادرتُها بالقَطفِ خَوفاً منَ الحتْف
فقالتْ على ضَعفيِ استطلتَ وَوَحدتي
رُويدَكَ حتّى يلحقَ الجيش مِن خَلفي
فلم يكُ إلا عن قَريبٍ فأقبلت
وعمَّت جميعَ الرّأس رُغما على أنفي

وهذا معنى قولنا إن الشق الأول من المقالة مبين عن رأي الناس في الشيب، ولهذا كان هذا الشق ذهنيا، يعول على ما يعرف مِنْ رأي غيره في الشيب، والموت، وما يحفظ من أشعار الأولين في ذلك، ولم تكن فيه نظرة تأملية، كما

لم يكن فيه ما هو صادر عن تجربة شعورية، وإنما كان اعتماده أن ينشر ما حضره من أقوال الشعراء، ويوردَ مجمل ما يعرف من آراء الناس، من غير أن يزيد على ذلك. ولما كان الشق الآخر مبينا عن رأيه هو، كان أمثل من الأول، وكانت التجربة الشعورية فيه أظهر، وآثارها في المقالة أحسن.

وقد أبان المنفلوطي في هذه المقالة عن شعور إنساني أصيل، هو بغض الموت، وحب الحياة، والتعلق بها، والضيق بكل ما يؤذن بالرحيل منها، وهذا سر إعجاب من يعجب بهذه المقالة أكثر من إعجابه بأسلوب الكاتب، وكيفية تناوله الفكرةَ، فقد ذكر فيها كثيرا من الخواطر التي تخطر للناس، إذا لاح الشيب برؤوسهم، فكأن ما قال لسانُ حالهم، قبل أن ينتقل إلى ذكر سروره هو بالشيب، وسروره به كناية مخالفته إياهم فيما يرون.

ويتسم أسلوب مصطفى لطفي المنفلوطي -في الجملة- بالجودة، وأنه أسلوب مطبوع، ليس فيه صنعة ولا تكلف، ومأتى ما فيه من مشاكلة أساليب القدامى من ثقافته، وهي ثقافة عربية خالصة، فقد حفظ القرآن في صغره، وتعلَّم في الأزهر، وكانت له عناية بالعربية وآدابها، ولم يكن يعرف لغة أجنبية، مع أنه اطلع على بعض ما ترجم من الأدب الأوربي إلى العربية، ولا سيما الأدب الفرنسي، كما تدل على ذلك ترجمته بعض الروايات الرومانسية، وهي روايات، ترجمها له بعض أصدقائه، ثم صاغها بأسلوبه. ومن وازن بين أسلوبه في هذه المقالة والأساليب التي كانت متبعة قبله، وجد بينها فرقا كبيرا، هو أن المنفلوطي تخلص من أغلال الصنعة اللفظية التي كانت تفسد النثر على عهده، وقبل عهده، وكان هذا التخلص سر إعجاب من أعجب به من

معاصريه، كما كان مذهب البارودي في الشعر سبب إعجاب معاصريه به، ولذلك شبهه أحمد حسن الزيات في الكتَّاب بالبارودي في الشعراء، فكلاهما "أحيا وجدَّد، ونهج وعبَّد، ونقل الأسلوب من حال إلى حال".

ومن آثار الطبع وإرسال النفس على سجيتها قلة التجويد والتنقيح في المقالة، كالإطناب الذي ليس تحته كبير فائدة، وهو غير قليل في المقالة، كقوله -مثلا-: "مررتُ صباحَ اليومِ أمامَ المرآةِ، فَلَمَحْتُ في رأسي شعرةً بيضاءَ، تلمعُ في تلكَ اللمَّةِ السوداءِ، لمعانَ شرارةِ البرقِ في الليلةِ الظلماءِ...، فارْتَعْتُ لمرآها، كأنما خُيِّلَ إليَّ أَنَّها سيفٌ جرَّدهُ القضاءُ على رأسي، أو علم أبيض، يحمله رسول جاء من عالم الغيب، يُنذِرُني باقترابِ الأجلِ"، وكان يغني عن هذا أن يقول: "نظرت اليوم في المرآة، فرأيت شعرة بيضاء، تلمع في شعري الأسود (أو: لمتي السوداء)، لمع البرق في الليلة الظلماء، فارتعت لها، وخيل إليها أنها سيف، سله القضاء علي، أو نذير، ينذرني قرب الرحيل". وما زاد على هذا فمن الفضول، كاستعماله: الرأس، واللمة، والمفرق، والفود، وأحدها يغني عنها جميعا، إذ استعملها استعمال المترادفات، وإن لم تكن مترادفة في الحقيقة؛ فإن اللمة هي الشعر، يجاوز شحمة الأذن، والفود جانبا الرأس، والمفرق وسطه.

ولا تتضح فائدة تشبيهه الشعرة البيضاء بالعلَم الأبيض في هذا السياق، فإن العلم الأبيض إنما يُرْفَع إيذانا بالاستسلام في المعركة، ولا معركة هنالك ولا استسلام، ولا سيما أن الذي يحمله رسولٌ، وليس الكاتبَ الذي ظهرت في رأسه هذه الشعرة، إذ لو كان الكاتب هو حامله لجاز أن يُحمل ذلك على أن

معركته في الحياة قد انتهت، وآن له أن يستعد للرحيل منها، كما يستعد المهزوم لترك ساحة القتال. وقد كان أبلغ من تشبيه الشعرة برسول يحمل راية بيضاء، أن تشبه بالنذير، كما فعل الله في قوله: (وجاءكم النذير)، ولو فعل لكان في التعبير تلميح إلى الآية، فيجمع حينئذ بين أسلوبين بلاغيين، هما الاستعارة، والتلميح.

ومن الفضول أيضا قوله: "يحملُهُ رسولٌ، جاءَ من الغيبِ"، فليس فيه كبير فائدة، إذ كان مجيء النذير من قبل الله أمرا متعينا.

وقد نزع التجرد من التجربة الشعورية بالشق الأول من المقال إلى الغفلة عن معنى ما يقول، أحيانا، فوقع في الخُلف من حيث لا يدري، كقوله مرة إن الشعرة كانت في لمته، ومرة في مفرقه، ومرة في فوده، وهي مختلفة، وكان ينبغي أن يقتصر على أحدها. ولهذا دلالة نفسية، هي أنه يتحدث عن الفكرة حديثا ذهنيا، ولا يتحدث عن تجربة، ومن العادة أن يكون في الحديث عن التجربة من الدقة والصدق ما لا يكون في الكلام الذهني، إذ كان مبنى الكلام الذهني على الثقافة، والمتابعة فيما جرت به العادة، ولذلك يكثر فيه الخطأ، كما قال أبو نواس:

وإذا وصفتَ الشيء متَّبعًا لم تخلل من زلل ومن وهم

ومن آثار الطبع، وقلة التجويد أيضا ما في المقالة من عبارات ضعيفة، كقوله: "ولا أُحبُّ أَنْ أَجمعَ على نفسي بين مصيبتين: مصيبةِ الشيب، ومصيبةِ الكذب". فتسمية الكذب مصيبة من كلام العامة، وإنما

الكذب منقصة، فإن أراد المشاكلة بينها وبين الشيب سماهما منقصتين، وهما بتلك التسمية أولى من أن يسميا مصيبتين.

ويحتاج بعض المقالة إلى صقل وتهذيب، كقوله: "أَيبلغُ بكِ الشأنُ، وأنتِ التي يضربون الأمثالَ بدقتها وخفائها، ويبعثون الملاقط والمقاريض وراءها، فلا يكادون يعرفون السبيل إلى مدارجها ومكانها؟ أن تملئي من الرعبِ قلبًا لا يروعُهُ السيفُ المجرَّدُ، ولا السَّهمُ المسدَّدُ". إذ لا يخفى ما فيه من ضعف وفضول. وما ينبغي أن يكون قوله: "رأيت الشعرة البيضاء في مفرقي؛ فارْتَعْتُ لمرآها، كأنما خُيِّلَ إليَّ أَنَّها سيفٌ جرَّدهُ القضاءُ على رأسي..."، بعد قوله: "مررتُ صباحَ اليومِ أمامَ المرآةِ، فَلَمَحْتُ في رأسي شعرةً، بيضاءَ، تلمعُ في تلكَ اللمَّةِ السوداءِ، لمعانَ شرارةِ البرقِ في الليلةِ الظلماءِ"؛ لأن معنى العبارتين واحد، والمجيء بهما معا، على هذا الوجه، من الفضول. وما أدري أهكذا كانت المقالة يوم كتبها المنفلوطي، أم هو خلل اعتراها من الطبع. فإن كانت على حالها كما كتبها، فهو من الفضول الذي قد رأينا، وهو يصدِّق ما قال أحمد حسن الزيات من أن المنفلوطي لم يكن واسع العلم بلغته، ولا قوي البصر بأدبها، "لذلك تجد في تعبيره الخطأ والفضول، ووضع اللفظ في غير موضعه، ... ولم يتوفر على تحصيل علوم الشرق، ولم يتصل اتصالا مباشرا بعلوم الغرب، لذلك تلمح في تفكيره السطحية والسذاجة

والإحالة". ومما يصدق هذا ما في المقالة من مخالفات لغوية، كاستعماله "عند" ظرفَ زمان، في قوله: "وتُعِدُّه لباسا لجثتي عند ما تجردها من لباسها يد الغاسل". و"عند" لا تكون ظرف زمان إلا إذا أضيفت إلى اسم زمان، نحو: "عند الصباح يحمد القوم السرى"، فإن لم تضف إليه كانت ظرف مكان. واستعماله "حتى" في قوله: "وفقيرٍ يقترحُ على الدَّهْر حتى بلغة الموت، فلا يظفرُ بأمنيَّتِهِ"، وقوله: "لا أسمعُ حتى دويَّ المدافعِ، ولا أرى حتى غبارَ الوقائع"، فاستعمال "حتى" هاهنا غير صحيحٍ، وإنما هو أثر من آثار العامية، وإنما الصحيح أن يقول في العبارة الأخيرة –مثلا–: لا أسمع صوتا، حتى دوي المدافع، ولا أرى شيئا، حتى غبار الوقائع"، كما قال هو في هذه المقالة: "لقد أبغضتُ من أجلكِ كلَّ بياضٍ، حتى بياضَ القمرِ، وكلَّ نورٍ حتى نورَ البصرِ، وأحببتُ فيك كلَّ سوادٍ حتى سوادَ الغربان، وكلَّ ظلامٍ حتى ظلامَ الوجدان".

ولم يحسن الكاتب التخلص من غرض المقالة الأول إلى غرضها الثاني، وليس ما مهَّد به للانتقال مقنعا، كقوله: أَيَّتُها الشعرةُ البيضاءُ، هل لكِ أن تتجاوزي عما أسأتُ بهِ إليكِ في إطالةِ عتْبِكِ، واستثقالِ ظلِّكِ، فلقد رجعتُ إلى نفسي، فعلمتُ أَنَّك أكرمُ الخلائقِ عندي، وأعظَمُها شأنًا في عيني. هنيئًا لكِ رأسي مُضيفًا، ومرتعًا، وهنيئًا لكِ فودي مرادًا ومسرحًا". وربما كان خيرا من هذا أن يقول: ولكن أيتها

الشعرة البيضاء، ألستِ برسولِ ربي بقربِ النجاةِ من حياةٍ ليسَ فيها من السعادةِ إلا لحظاتٍ قليلةٍ، يكدِّرُها ما يحيط بها من الهموم والأحزان؟ ما الذي يحملُه لكِ فى صدرهِ من الحقدِ رجلٌ لم ينعمْ بشبابِهِ؛ فيحزن على ذهابه، ولم يذق حلاوة الدنيا؛ فيجزع لمرارة الممات، ولم يستنشق نسمات السعادة الثاني..."؛ فهذا خير من تلك المقدمة التي لا يفهم منها أن ما قال قبلها رأي الناس، وأن ما صار إليه هو رأيه هو، أو أن ما قال قبلها وجْه من وجوه القضية، وما قال بعدها وجه آخر، هو أوزن الوجهين، في رأيه، وأجدرهما بأن يَعتدَّ به رجل مثله، لم يعرف من الحياة ما يدعوه إلى التعلق بها. ثم إن رجوعه إلى نفسه، وعلمه أَنَّها أكرمُ الخلق عليه، وأعظَمُه شأنًا في عينه ينبغي أن يكون رأيا يراه، ومذهبا يتقلده قبل أن يفكر في كتابة المقال، أو -في الأقل- مما انتهى إليه حين همَّ بكتابة المقال، وفكَّر في القضية التي سيديره عليها، وقبل أن يشرع في كتابته، وليس شيئا بدا له بعد أن قال في الشعرة البيضاء ما قال في صدر المقال.

غير أن المقالة، -على ما فيها- جيدة، وقد أحسن فيها المنفلوطي، وأجاد التعبير عما يجد، ويجد الناس كلهم من الفزع من الشيب، وما يوحي من قرب الرحيل، ومن أجمل ما قال فيها تشبيهه الشيب بالأوربي

إذ يروم احتلال إفريقية، وما يحتال به من خدع يخدع بها أهلها حتى يبلغ منهم ما أراد .

تمرين

س١ هل ترى أن المنفلوطي تناقض، إذ أظهر من السخط على الشعرة البيضاء في صدر المقالة ما أظهر، ثم ختمها بالترحيب بها؟ وضِّح ذلك بالتفصيل.

س٢ يفهم من المقالة أن المنفلوطي -على عكس الناس- كان كارها للحياة، ميالا إلى الموت: اذكر من المقالة ما يدل على ذلك.

س٣ لم تسلم مقالة المنفلوطي هذه من الفضول، وضح ذلك بأمثلة منها.

س٤ في المقالة ما يدل على أن الكاتب مطبوع، ولم يكن ينقح ما يكتب، ولا يعتني بتجويده. بين ذلك بالتفصيل.

س٥ المنفلوطي في الكتاب كالبارودي في الشعراء، ما معنى ذلك؟.

س٦ اكتب مقالة نقدية قصيرة، تقوِّم فيها مقالة "الشعرة البيضاء".

س٧ استخرج الأفعال المؤنثة في هذه العبارة، وبين حكم تأنيثها، مع ذكر السبب: "... وقلوبٍ تضطرمُ حقدًا على غيرِ طائلٍ، ونفوسٍ، تتفانى قتلاً على لونٍ حائلٍ، وظلٍّ زائلٍ، وغرضٍ باطلٍ، وعقولٍ، تتهالكُ وجدًا على نارٍ تحرقُها، وأنيابٍ تمزِّقُها، وعيونٍ حائرةٍ في رؤوسٍ طائرةٍ، تنظُرُ، ولا ترى شيئًا مما حولها، وتلمعُ ولا تكاد تُبصرُ ما أمامَها. إنْ كان

هذا هو ظاهرَ ذنبِك عندي، فاستكثري من ذنوبِك، فإنِّي لكِ مِنَ الغافرين".

س٨ أعرب ما فوق الخط.

ثالثًا– **ذكرى المولد**، لأحمد شوقي[1]

أَرادَ اللَهُ بِالفُقَراءِ بِرًّا ... وَبِالأَيتامِ حُبًّا وَارتِبابا(٢)
فَرُبَّ صَغيرِ قَومٍ عَلَّموهُ ... سَما وَحَمى المسَوَّمَةَ العِرابا
وَكانَ لِقَومِهِ نَفعًا وَفَخرًا ... وَلَو تَرَكوهُ كانَ أَذًى وَعابا
فَعَلِّمْ ما استَطَعتَ لَعَلَّ جيلاً ... سَيَأتي يُحدِثُ العَجَبَ العُجابا
ولا تُرهِقْ شَبابَ الحَيِّ يَأسًا ... فَإِنَّ اليَأسَ يَختَرِمُ الشَبابا
يُريدُ الخالِقُ الرِزقَ اشتِراكًا" ... وَإِن يَكُ خَصَّ أَقوامًا وَحابى
فَما حَرَمَ المجِدَّ جَنى يَدَيهِ ... وَلا نَسِيَ الشَقِيَّ وَلا المصابا
وَلَولا البُخلُ لَم يَهلِكْ فَريقٌ ... عَلى الأَقدارِ تَلقاهُمْ غِضابا
تَعِبتُ بِأَهلِهِ لَومًا وَقَبلي ... دُعاةُ البِرِّ قَد سَئِموا الخِطابا
وَلَو أَنّي خَطَبتُ عَلى جَمادٍ ... فَجَرْتُ بِهِ اليَنابيعَ العِذابا

---

(١) وُلد أحمد شوقي بالقاهرة عام ١٢٨٧ هـ، وتربى في قصر الخديوي إسماعيل، والتحق بمدرسة الحقوق، ثمَّ بعثه الخديوي توفيق إلى فرنسة ليدرس بها. له ديوان شعر بعنوان "الشوقيات"، ومجموعة من المسرحيات الشعرية والنثرية، منها: مصرع كليوباترا، ومجنون ليلى، وقمبيز، وعلي بك الكبير. بايعه شعراء العرب عام ١٩٢٧ أميرا للشعر، وتوفي بالقاهرة عام ١٣٥١هـ.

(٢) ارتبَّ الصبيَّ: رباه.

أَلَم تَرَ لِلهَواءِ جَرى فَأَفضى ... إلى الأَكواخِ وَاختَرَقَ القِبابا
وَأَنَّ الشَمسَ في الآفاقِ تَغشى ... حِمى كِسرى كَما تَغشى اليَبابا
وَأَنَّ الماءَ تُروى الأُسدُ مِنهُ ... وَيَشفي مِن تَلَعلُعِها الكِلابا(١)
وَسَوّى اللهُ بَينَكُمُ المِنايا ... وَوَسَّدَكُمْ مَعَ الرُسلِ التُرابا
وَأَرسَلَ عائِلاً مِنكُمْ يَتيمًا ... دَنا مِن ذي الجَلالِ فَكانَ قابا
نَبِيُّ البِرِّ بَيَّنَهُ سَبيلاً ... وَسَنَّ خِلالَهُ وَهَدى الشِعابا
تَفَرَّقَ بَعدَ عيسى الناسُ فيهِ ... فَلَمّا جاءَ كانَ لَهُمْ مَتابا
وَشافي النَفسِ مِن نَزَعاتِ شَرٍّ ... كَشافٍ مِن طَبائِعِها الذِئابا
وَكانَ بَيانُهُ لِلهَدي سُبلاً ... وَكانَت خَيلُهُ لِلحَقِّ غابا
وَعَلَّمَنا بِناءَ المِجدِ حَتّى ... أَخَذنا إِمرَةَ الأَرضِ اغتِصابا
وَما نَيلُ المِطالِبِ بِالتَمَنّي ... وَلَكِن تُؤخَذُ الدُنيا غِلابا
وَما استعصى على قوم منال ... إِذا الإِقدامُ كانَ لَهُمْ رِكابا
تَجَلّى مَولِدُ الهادي وَعَمَّتْ ... بَشائِرُهُ البَوادي وَالقِصابا
وَأَسدَتْ لِلبَرِيَّةِ بِنتُ وَهبٍ ... يَدًا بَيضاءَ طَوَّقَتِ الرِقابا
لَقَد وَضَعَتهُ وهَّاجا مُنيرًا ... كَما تَلِدُ السَماواتُ الشِهابا
فَقامَ عَلى سَماءِ البَيتِ نورًا ... يُضيءُ جِبالَ مَكَّةَ وَالنِقابا
وَضاعَت يَثرِبُ الفَيحاءُ مِسكًا ... وَفاحَ القاعُ أَرجاءً وَطابا

---

(١) التلعلع: التضور والتحزُّن من الجوع والعطش.

أَبا الزَهراءِ قَد جاوَزتُ قَدري ... بِمَدحِكَ بَيدَ أَنَّ لِيَ انتِسابا
فَما عَرَفَ البَلاغَةَ ذو بَيانٍ ... إِذا لَم يَتَّخِذكَ لَهُ كِتابا
مَدَحتُ المالِكينَ فَزِدتُ قَدرًا ... فَحينَ مَدَحتُكَ اقتَدتُ السَحابا

عرض ونقد

هذه الأبيات من قصيدة طويلة لأحمد شوقي، عِدَّتها واحد وسبعون بيتا، جعل عنوانها "ذكرى المولد"، فمولد النبي -صلى الله عليه وسلم- إذن هو المناسبة التي قيلت فيها، وكان الحديث عنه هو غرضها الرئيس، وإن كان أكثر أبياتها في الحكمة والتأمل، وما نال منها مولدُ النبي -صلى الله عليه وسلم- ومناقبه إلا عشرين بيتا، أي أقل من ثلثها. والأبيات التي اقتصرنا عليها من القصيدة تدور على فضل العلم، وأثره في تغيير الشعوب، ونقْلها من حال إلى حال، وما يمكن أن يسمى اشتراكية أحمد شوقي، ومولد النبي -صلى لله عليه وسلم-، وبعض مناقبه.

ففي البيت الأول يقول إن الله -تعالى- أمر ببر اليتامى، والإحسان إليهم، وحبهم وتربيتهم، وعدم إهمالهم؛ فإن برهم وتربيتهم وتعليمهم قد تنقلهم من طور إلى طور يكونون فيه علماء أجلاء، ورجالا أفذاذا،

وأبطالا عظاما، يقودون الجيوش، وينفعون قومهم، ويكونون فخرا لهم، ولو وُكِلوا إلى أنفسهم، فلم يُحسَن إليهم، ولم يربوا، ولم يعلَّموا، لكانوا مصدر أذى وعيب لقومهم. ثم ذيَّلَ الأبيات التي ذكر فيها ذلك ببيت، حضَّ فيه على تعليم النشء، لعل تعليمهم يخرج منهم جيلا يحدث العجب العجاب. وهو إذ يقول هذا كأنما ينظر إلى ما صنع العلم بالأمم، وما أتاح لها من التمكن في الأرض، والارتفاق بالكون، بعد ما كانت فيه من جهل وخمول. ويحض في مقابل ذلك على تجنيب الشباب اليأس؛ لأنه يعطل الملكات، ويفني الطاقات، ويغري بالاستسلام للبؤس، فهو كالموت.

ثم يعرض ما يرى من مذهبه الاشتراكي في المال، فيقول إن الله تعالى أراد المال شِرْكة بين الناس، وهو -وإن فضَّل بعضهم على بعض في الرزق- نهى عن البخل، وأمر بالإحسان إلى الفقراء، حتى لا يبقى في الناس محتاج، ولم يَحْرِم مُجِدًّا أن يجني ثمرة جده، أي إنه أتاح لكل امرئ أن يبلغ من الغنى ما استطاع، ولم ينس مصابا ولا شقيا، وإنما أمر بالإفضال عليهم، والإحسان إليهم. ولو امتثل الناس أمره، ولم يبخلوا بما آتاهم من فضله، ما كان فيهم غاضبون على القدر؛ أن لم يسوِّ بينهم وبين الأغنياء. وهؤلاء البخلاء بما آتاهم الله قد تعب أحمد شوقي في لومهم، وسئم الوعَّاظ قبله وعظَهم، فلم يؤثروا فيهم، ولو خطب بما وعظهم به

خطيب في الجماد لفجَّر فيه الينابيع العذبة، يريد أن قلوبهم أقسى من الجماد، وأنه ينتفع بالوعظ أكثر مما تنتفع، كأنما يشير إلى قول الله – تعالى– في بني إسرائيل: (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء). ثم ذكر بعض ما خلق الله مشتركا بين الخلق، ولم يخصص به غنيا دون فقير، كأنما يريد أن يقيم بذكره الحجة على صحة مذهبه في اشتراكية المال، كالهواء، فهو يجري في الأكواخ كما يجري في القصور ذات القباب، أي يتساوى فيه الغني والفقير، والشمس، فهي تضيء قصور كسرى كما تضيء الأرض اليباب، والماء، فهو شركة بين الكلاب والأسود. وجعل الشر –أيضا– شركة بين المخلوقات، كما جعل الخير شركة بينها، فقد سوى بين الأحياء في الموت، والدفن في التراب، ولم يستثن منه الأنبياء، على أنهم أكرم الخلق عليه. وسوى بينهم في إرسال الرسل، ولم يرسلهم إلى بعض الناس دون بعض، كما بعث النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى الناس كافة، ولم يتخذه من الأغنياء، وإنما اتخذه من الفقراء، وأنزله –مع ذلك– من الشرف منزلة لم ينزلها أحدا من خلقه.

وجعل هذا مناسبة للحديث عن سيرته –صلى الله عليه وسلم–، وذكْر مناقبه. فقال إنه –صلى الله عليه وسلم– بيَّن سبيل البر، وسنَّ

خلاله، وهدى الناس، وجمع اللهُ عليه مَن تفرَّق بعد عيسى -عليه السلام- من أهلل الملل، فكان دليلَهم إلى الله، وتابوا على يده مما كانوا فيه من الشرك، مع أن هداية الناس، وشفاءهم من نزعات الشر كشفاء الذئاب من طبائعها، غاية في الصعوبة. وكانت بلاغته -صلى الله عليه وسلم- وسيلة هداية للخلق، ودليلهم على الله، وخيله كالغابة يأوون إليها، فتظلهم، وتحميهم. وعلَّم أمته بناء المجد، فسادت الدنيا بجدارة، وغالبت أهل الأرض فغلبتهم، وكذلك المطالب، إنما تنال بالمغالبة، لا بالتمني. ومن استصحب الجد والإقدام لم يستعص عليه نيل مطلب.

ثم انتقل من مآثره -صلى الله عليه وسلم- ومناقبه إلى مولده، وهو الغرض الذي بنى عليه القصيدة، فقال إن البشارة بمولده عمت البوادي والعواصم، وإن أمه آمنة، إذ ولدته، أسدت إلى البرية يدا طوقت رقابها، وقد ولدته وهاجا منيرا، كما تلد السماوات الشهب، فكان نورا فوق الكعبة، يضيء جبال مكة وطرقها، وفاح مسكه من المدينة المنورة وأوديتها وأرجائها وطاب. وقال في الأبيات الثلاثة الأخيرة إنه جاوز قدره، إذ مدحه -صلى الله عليه وسلم-، أي إنه نال من الشرف بمدحه فوق قدره، مع أن له فوق ذلك الشرفِ انتسابا إلى أمته. أي إنه جمع شرفين، شرف الإيمان به والانتساب إلى ملته، وشرف مدحه. وإن امرأ، يتعاطى البيان، لم يتخذ كلامه كتابا، يتعلم منه، ما عرف البلاغة. ووازن

في البيت الأخير بين مدحه الملوك ومدحه النبي –صلى الله عليه وسلم– ، فقال إن مدحه الملوك زاد قدره، أما مدحه النبي –صلى الله عليه وسلم– فمكنه من قيادة السحاب، أي إنه رفع قدره، وأحله من السمو منزلة، كنى عنها باقتياد السحاب.

والحكمة هي الغرض الغالب على القصيدة كلها، وما قال فيها هو أمثلها، فقد كان خلاصة تجربته وتأمله في الحياة، كما كان أكثرها بيانا عما أراد، وأوجزَه، ولذلك جرى مجرى الأمثال، في تداوله، وكثرة التمثل به، كقوله:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وشعر الحكمة أقرب أنواع المنظوم إلى النثر؛ لتجرده من العاطفة والخيال، واعتماده تقرير الحقائق بمعزل عن الشعور. ويصدق هذا على جلِّ أبيات القصيدة، ولا سيما الأبيات التي اقتصرنا عليها هاهنا، وإن اشتملت على بعض الصور البيانية التشبيهية، غير أنها صور، أكثرها معهود في الشعر العربي، وليس فيها جديد؛ وكثرة وردوها في الشعر أفقدتها الطرافة والغرابة، وهما شرط الإبداع. وأمثل صور الأبيات التي بين أيدينا قوله:

لَقَد وَضَعَتهُ وهَّاجا مُنيرًا كَما تَلِدُ السَماواتُ الشِهابا

أما ما عدا ذلك، فليس فيه جديد، ولا تميُّز.

تمرين

س١ حلل القصيدة تحليلا موجزا، تبين فيه أهم ما اشتملت عليه من معان وأغراض.

س٢ استدلَّ أحمد شوقي لصحة رأيه في الاشتراكية بأدلة من الطبيعة كثيرة، اذكرها بإيجاز.

س٣ يرى بعض النقاد أن شعر الحكمة ليس بشعر، لِمَ؟ وما الدليل عليه، من هذه القصيدة.

س٤ اكتب مقالة نقدية موجزة، تقوم فيها قصيدة أحمد شوقي هذه.

س٥ أعرب ما فوق الخط.